الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة أبو بكر بلقايد-تلمسان

****
كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية
قسم التاريخ و الآثار
شعبة الفنون الشعبية

*** مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الفنون الشعبية ***

الموسومة بـ

السكن الشعبي بوادي برقش ولاية عين تموشنت دراسة فنية معمارية

إعداد الطالب

الطالب داود احمد

لجنة المناقشة

أ.**د. شايف عكاشة** – أستاذ التعليم العالي بجامعة تلمسان — رئيسا

أ.**د. عبد الحميد حاجيات** – أستاذ التعليم العالي بجامعة تلمسان – مشرفا

أ.د. معروف بلحاج — أستاذ التعليم العالي بجامعة تلمسان – عضوا

أ .د.محمد رمضان أستاذ التعليم العالي بجامعة تلمسان – عضوا

أ .د.شعيب مقنونيف – أستاذ التعليم العالي بجامعة تلمسان – عضوا

السنة الجامعية 2013/2012

ـ المقدمة ـ

اخترت السكن الشعبي موضوعا لهذا البحث تلبية لرغبة ذاتية، ظلت تراودني، فكلما كنت أصل إلى المدخل الشمالي لقرية وادي برقش يشد انتباهي مساكن أسقفها من الطوب تتواجد على منحدر قي الجهة الغربية ، حيث تعكس هذه الصورة للوهلة الأولى و بشكل واضح الاختلاف الظاهري في كل من النسيج العمراني و نوع السكن .

إن فكرة الاستطلاع دفعتني للتوجه ذات مرة إلى الحي ، و ذلك إني كثير الاهتمام بالأنماط السكنية و حينها تعلقت أكثر بالموضوع و صممت على السير فيه حتى النهاية لأسباب، منها: *معرفة أهمية الوحدة السكنية التي ترتكز على مركزية الساحة ، *الفن المعماري الذي يميز نوع السكن ،* تعلق الأشخاص الذين تحاورت معهم بهذا النمط الذي يعتبرونه لائقا و يفخرون بما أنجز آباؤهم ،*اهتمام الكثير من الدراسات الأجنبية بهذا النوع من السكن من الجانبين الفني المعماري و الإنثربولوجي و هي الدراسات التي وفرت لي المادة الأولية لإثراء موضوع بحثي .

و قد شكل للبحث إطارا محددا بالمكان و بالجانب الذي أتناول من خلاله الموضوع ،فالسكن الشعبي هو إطار البحث وذلك لتحديد نوع السكن و الفصل بينه و بين الثاني المتمثل في السكن الأوروبي، و المكان هو قرية وادي برقش ولاية عين تموشنت ،ومن حيث تعدد الجوانب التي يمكن من خلالها إقامة بحوث على السكن الشعبي حرصت على تناول هذا البحث من جانب فني معماري .

ونظرا لقلة المصادر التي تتعلق بصورة مباشرة بالبحث ولاسيما باللغة العربية اعتمدت على جمع المادة من ثلاثة مصادر اعتبرتها رئيسة* –حسن فتحي –لكوربيزي - LE CORBUSIER-فيولي لديك VIOLET le duc ، في تحديد النقاط الأساسية للبحث و كذلك من أفواه الرجال الذين ساهموا في البناء و أنجزوا مساكنا لهم .

و لم تكن معالجة هذا الموضوع بالأمر السهل، إذ واجهت عدة صعوبات يرجع بعضها للمعاينة الميدانية للمساكن التي شكلت عيّنة البحث و استجوابات أصحابها كما يرجع البعض الآخر إلى قلة المراجع .

كما أن خطة البحث تتطلب وصف الأجزاء الداخلية للمسكن الشعبي و أخذ صور ما يجبرني على استئذان الأشخاص و شرح الأسباب إلا أن هذا الأمر كان يحرج معظمهم و كانوا بالتالي يرفضون . أما الصعوبات الخاصة بالمراجع فتنحصر في كون أن أكثريتها التي تتعلق بالموضوع مكتوبة باللغة ألاتينية حيث لم تكن قراءتها سبب تعبي بقدر ما كانت الترجمة و إعداد البطاقات .و نتيجة لما ذكر كنت اشعر أحيانا باليأس، و لم يكن ثمة مفر من التغلب على هذه الصعوبات و منها عملي في نفس الوقت حتى يتم تقديم هذا البحث.

و قد اشتمل البحث على ثلاثة فصول ، حيث تناولت قي الفصل الأول تاريخية ظهور السكن في هذه القرية و بينت أهمية اختيار المكان على أساس جغرافي و في نفس السياق أظهرت إرادة و فكر الإنسان في إنشاء سكن يوفر له بعده الاجتماعي رغم صعوبة كل من طبيعة الموقع و الظروف الاجتماعية والاقتصادية .

أما في الفصل الثاني فناقشت البعد التاريخي و الإنساني لمفهوم السكن و حددت بصورة دقيقة نمط الوحدة السكنية بكل أجزائها و تفاصيلها و كذلك تنظيم فضاء

المسكن الشعبي في وادي برقش و بينت بأنه ناتج على أساس التطبيقات الحياتية و المعيشية للإنسان و العلاقات المتواجدة بين الأفراد.

وكان المنهج الذي سرت عليه في كتابة الفصلين يجمع بين الوصف لهذا النوع من السكن و بين التحليل الذي يعلل الوقائع و يتعرض إلى تفسير دوافعها بقدر الإمكان.

و في الفصل الثالث فمن من خلال الوصف قد تناولت شرح أساليب و مواد البناء و ركزت على الناحية الفنية المعمارية المنتهجة في مثل هذه المساكن الشعبية .

كما أنهيت البحث بخاتمة ، أجبت في بدايتها على سؤال افترضته وهو : لماذا لا تكون الوحدة السكنية المرتكزة على أساس مركزية الساحة نموذجا للسكن في المدن الجديدة التي تعتزم بلادنا إنشاءها ؟ ، ما جعلني أتناول النماذج السكنية الجماعية و الفردية الجديدة و أسباب ظهورها. ثم سجلت أن المسكن الذي تنتظم أجزاؤه حول الساحة هو نموذج لائق بقيمنا العربية والإسلامية و أراه حافزا للدراسات الميدانية المتصلة بهذا الموضوع .

و إنني ، إذ أتقدم بهذا البحث إلى قسم الثقافة الشعبية بجامعة أبي بكر بلقايد بتلمسان ، و أرجو أن أكون قد وضعت لبنة في صرح البحث العلمي .

و لا يفوتني أن أتوجه بالشكر إلى كل الذين قدموا لي مساعدتهم و إلى أساتذة قسم الثقافة الشعبية. و في الختام ، أقدم جزيل شكري إلى المشرف الأستاذ الدكتور عبد الحميد حاجيات على الإرشادات و التوجيهات و تكبده تعب القراءة و التصحيح .

في وادي برقش يوم 16ابريل2013

الفصل الأول

الفصل الأول : تاريخية ظهور السكن في وادي برقش

1 – دراسة تاريخية وجغرافية لوادي برقش

ا – الموقع الجغرافي

ب– إنشاء قرية وادي برقش

2– ظهور السكن في وادي برقش

ا – السكن الأوروبي

ب – السكن الشعبي

ب 1 – اختيار الموقع

ب 2 – الفضاء

ب 3 – الكتلة السكنية

ب 4 – الشارع و الدرب

1- دراسة تاريخية و جغرافية لوادي برقش :

أنشئت قرية وادي برقش من طرف الإدارة الفرنسية في سنة 1927 م و كانت تسمى آنذاك «قاستون دومرق » .

أ-اختيار موقع وادي برقش :

تقع قرية وادي برقش غرب الجزائر العاصمة على مسافة 530 كلم ،وتعد من إحدى بلديات ولاية عين تموشنت حيث تبعد عن عاصمتها بمسافة 25 كلم . يحدها شمالا بلدية *شنتوف* و شرقا بلدية *الحساسنة* و غربا بلدية *عقب الليل* أما جنوبا فتحدها بلدية *سيدي دحو* التابعة لولاية سيدي بلعباس .من أهم المدن الكبرى القريبة منها مدينة سيدي بلعباس على بعد 40 كلم ،مدينة وهران على بعد 80 كلم و كذلك مدينة تلمسان على مسافة 90 كلم [1].

تتواجد قرية وادي برقش على إحدى هضاب السلسلة الجبلية ألتليه الممتدة من تلمسان إلى سيدي بلعباس على ارتفاع 400 م عن سطح البحر ،محددة تحت رقم 209KVII [2] في الخريطة الوطنية لمسح الأراضي .

لم تكن عملية إنشاء المدن و القرى إبان تواجد الفرنسيين بالتحديد في الجزائر بصورة عفوية أو تلقائية ، بل كانت على أساس دراسات علمية دقيقة من أهمها جغرافية المواقع ، ما يجعل التطرق لموقع قرية وادي برقش ضرورة يمليها منهج البحث .

---

[1]- انظر خريطة 1958 في الملاحق .

[2]- الرقم منقول من الخريطة الجهوية لمسح الأراضي المتواجدة لدى مديرية مسح الأراضي بولاية عين تموشنت .

يتطلب اختيار موقع لمدينة أو لقرية دراسة شاملة للمنطقة تتضمن معرفة كل معطياتها الجغرافية و الاجتماعية و الاقتصادية الظاهرة منها و الباطنية [1]، حيث من خلال نتائجها يتم إعداد المخططات والرسومات البيانية التي تظهر طبوغرافية الموقع وتشمل مراحل توسع النسيج العمراني باتجاهاته و مساحاته المختلفة حاضرا و مستقبلا .نسجت الإدارة الفرنسية المدن و القرى حسب مخططات بيانية يبرز كل واحد منها ثلاثة مساحات رئيسة : الأولى و تعتبر مركزية وهي لإقامة المدينة حاضرا و على المدى القريب و أما الثانية فهي المساحة المخصصة للتوسع العمراني على المدى البعيد و أخيرا الثالثة التي تبين موقع الأحياء أو الحي العربي ما يعرف بالقرية السوداء أو البناء القصديري[2] ومنها الأحياء السكنية التي أنجزتها الإدارة الفرنسية للأسر الجزائرية و ذلك حسب نظرتها لأهمية المدينة أو القرية[3] ،بينما في مدن وقرى أخرى فإنها اكتفت بالسماح للأسر ببناء مساكنهم ذاتيا في الأمكنة المحددة من طرفها [4]،كما هو الحال في قرية وادي برقش.

أورد القرار السياسي الفرنسي الخارجي سيناتيس كونسيلت senatus consult الصادر بتاريخ 16 جوان 1851 عملية إنشاء المدن و القرى من ضمن أولوياته كونها تتضمن هدفان أساسيان : الأول وهو عسكري يتمثل في المراقبة الشاملة للأراضي الجزائرية ،أما الثاني فهو اقتصادي يرتكز على استغلال واستصلاح أراضي الفلاحة [5].

هذا الأمر دفع الإدارة الفرنسية للإسراع في توطين الفرنسيين لكي تهيمن

1-MARC Cote (une poussée d'urbanisation sans precedent) la Ville et l' urbanisation Revue Mensuelle REPERES 03/1977 Edition Marinor Paris ,p 196

2- CELINE Sachs Jeantel (humaniser la ville) la Ville et l' urbanisation Revue Mensuelle REPERES 03/1977 Edition Marinor Paris ,p 198

3- DJAFFER Lesbet (les1000 villages socialistes en algerie) office des publications universitaires –Syros – Alger 1984, p 18

4- Ibid , p 24

5- CELINE Sachs – Jeantel ,op cit p 198

وتسيطر على النظام الاقتصادي وفق منهجية و تعليمات واردة في نفس القرار [1] و التي توجز لهؤلاء حق ملكية الأرض . وتضمن أيضا القرار من جهة أخرى الملكية الفردية للمعمرين و تعليمات لحصر القبائل في مناطق تواجدهم و عزلهم عن بعضهم البعض[2] ، و التعجيل في عملية تفكيك أسس الروابط و العلاقات المتواجدة بينهم[3] .

اهتمت الإدارة الفرنسية بالموانئ لنقل المواد الخام و المنتجات إلى فرنسا و دول أخرى ، حيث طورت المدن الساحلية بالدرجة الأولى و بعض المدن الداخلية بدافع اقتصادي منها (مدينة سيدي بلعباس – البليدة – سطيف – باتنة) و لم تستفيد مدن أخرى مثل (ندرومة– مليانة – و ميلة) من هذا الدافع كونها غير مدرجة ضمن أهداف إستراتجية [4].

أما عن مدينة عين تموشنت فبعد سقوطها في يد الفرنسيين سنة 1847 م ، أصدر مرسوما رئاسيا ممضى من طرف "لويس نابليون بونابرت" بتاريخ 26 ديسمبر 1851 م يقضي بقبول تسمية المدينة "بعين تموشنت "[5] و باعتبارها مقاطعة تابعة لمدينة سيدي بلعباس بناحية وهران ، تضم المناطق التالية (أغلال – عقب الليل – الحساسنة – شنتوف – شعبة اللحم – وادي برقش) [6]، و استفادتها من مشروع لإنشاء تجمع سكني لفائدة 225 عائلة فرنسية .

1-- FAROUK Benatia (Alger : agrégats ou cités) édition 1 SNED Reghaia 1980, p 13

2- FAROUK benatia , op cit , p 33

3- Ibid ,p 26

4- MARC Cote , op cit , p 183

5- SAFI moussa Boudjemaa (Ain- Temouchent au fil du temps) Imprimé en AOUT 1997 sur les presses de l'entreprise d'impression : Sidi Bel Abbes – Algerie , p 70

6-Ibid , p 65/68

ب– إنشاء قرية وادي برقش :

أسهمت القبضات المحلية اثر انتفاعها من الضرائب العقارية على أراضي الفلاحة[1] ومن العائدات المفروضة على تسيير الثروات المختلفة في تطوير المدن و القرى اقتصاديا و اجتماعيا ،حيث في هذا السياق و بهدف التوطين بادرت الإدارة الفرنسية بعين تموشنت سنة 1924 م إلى إنشاء قرية قاستون دومرق *GASTON DOUMERGUE* في منطقة وادي برقش وذلك بعد إتمام الدراسة الخاصة بجغرافيتها و اختيار موقع لانجاز التجمع السكني .

أهم مميزات هذا الموقع تواجده على هضبة أميال منحدراتها متفاوتة فهي من 10% إلى 17 %. و مرتفعة بـ 55 م عن مستوى الوادي الذي يحيطها شمالا و شرقا ، يمر في وسطها الطريق الرابط بين مدينتي عين تموشنت و سيدي بلعباس و الذي حقق للقرية مدخلين رئيسيين في كل منهما برجا للمراقبة أحدهما في الشمال والثاني في الجنوب ، وقد لعبا في البداية دورا امنيا لامتداد النسيج العمراني و قد تم تطويق موقع التجمع السكني كلية بحواجز و سياج من الأسلاك الشائكة على ارتفاع مترين ، و هذا بطبيعة الحال نموذجا يعكس الطابع العسكري للسياسية الفرنسية بهدف تحقيق الاستقرار و الحماية من المضار و الحفاظ على أمنهم [2] .

« لا يمكن لأي مدينة الاستمرار في الوجود إذا كانت منفصلة عن العالم الآخر[3] » ، فموقع قرية قاستون دومرق بين أكبر مدينتين سيدي بلعباس و عين تموشنت سهل على المعمرين القيام بتبادلاتهم التجارية من جهة و تواجدهم قرب الأراضي الصالحة للفلاحة التي استولوا عليها من جهة أخرى .

1- MARC Cote ,op cit, p 203
2-FAROUK benatia ,op cit, p 22
3 - عفيف بهنسي (لمحات آثارية و فنية) - دار الرشد للنشر - بغداد 1983 - ص 73

و يتضح أن اختيار هذا المكان للتمركز و الاستقرار لا يتعلق بأسباب لها صلة بالمعتقدات أو المفاهيم الدينية أو الأحداث كما هو حال بعض المدن التي تأسست على مواقع خارقة و منعزلة في مرتفعات الجبال وأيضا أخرى خضعت لعوامل دينية فهي على مواقع تعكس كوارث جغرافية و طبيعية [1] ، و لا بسبب إحساسهم بالتعالي و الكبرياء ، بقدر ما كانت هناك عوامل تعد من أهم الشروط مثلما يوجزها الدكتور **عفيف بهنسي** : « لا يكفي الموقع في حد ذاته لإنشاء و بالأخص الحفاظ على تجمع سكني ما لم تتوفر فيه أهم الشروط و هي الأمن و الماء و الزرع[2]».

من هنا تتبين بوضوح أهمية الموقع عند الفرنسيين الذين أعدوا دراسات مختلفة في الجغرافيا و الجيولوجيا ، حيث استأثرت دراسة العناصر الطبيعية بالنصيب الأكبر[3] ، و أنهم استفادوا من نتائجها لإنشاء مدنهم و تجمعاتهم ، و يمكن القول أن استقرار التجمع السكني في وادي برقش قد تحقق بعد ما توفرت الشروط المناسبة .

كانت أول خطوة في بداية انجاز قرية *قاستون دومرق* هي حفر أربعة أبار و بناء خزان الماء بسعة 200 م^3 ، فالماء مصدر الحياة كما ورد في القرآن الكريم في سورة الأنبياء الآية 30"**وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون** " ، فلولا تواجد الماء في هذا المكان لما تواجد هذا التجمع السكني،فعندما لا يتوفر بالقدر الذي يكفي للري و

[1] - جمال حمدان ، (جغرافية المدن) ، ط 2 منقحة ، دار غريب للطباعة ، القاهرة ، 1988 ، ص 178

[2] - عفيف بهنسي : مرجع سابق ص07 .

[3] - دولة أحمد طارق و علي البنا (أسس الجغرافية العامة) ، ط 2 ، مكتبة الإنجلو المصرية ، القاهرة ، ص 212

الإرواء : « فالمدينة لا تلبث أن تضمحل و تنتهي»[1] ، باعتباره من الأولويات في اختيار الموقع و تنظيم السكن[2].

و تشير المعلومات[3] أن كميات الأمطار التي تتساقط بانتظام على مقاطعة عين تموشنت و ضواحيها تتجاوز 500 مم سنويا .

تعسف الإدارة الفرنسية في تطبيق مجمل تعليمات قرار سناتيس كونسيلت senatus consult وكانت نتائجه سلبية على الأسر الجزائرية التي تقطن في إقليم منطقة وادي برقش ، حيث تدهورت أحوالها الاقتصادية و الاجتماعية و تفشت البطالة وظهر الفقر والمرض في أوساطها جراء سلب أراضيهم وتوزعيها على المعمرين ، و فضل الأفراد الهجرة نحو المدن و القرى المجاورة بحثا عن العمل و سبل العيش ، فوجد المعمرون (أرباب العمل) حينها اليد العاملة المناسبة و السهلة الاستغلال [4] لتنمية اقتصادهم .

كما نتج على صعيد آخر كسر و تفكيك للروابط و العلاقات المتواجدة بين الأسر الواسعة[5] ، و هدم مستمر لنظامهم الاقتصادي المتمثل في الصناعات الحرفية و التبادلات التجارية ، فأصبحت غالبية الأسر الجزائرية محاصرة و مقهورة و مجبرة على مغادرة أماكن تواجدها و التمركز في محيط التجمعات السكنية .

وحين تقهقر اقتصاد الآسر المرتكز على تربية المواشي و الأبقار والدواجن نتيجة فقدانهم للأراضي و انعدام الرعي و غلاء العلف و الكلأ أصبح البيع بالنسبة لهم

---

[1] - عفيف بهنسي ، مرجع سابق ، ص 67

2- MOUSAOUI Abdelrahmane , (Logique du sacré et mode d'urbanisation dans le sud ouest algérien) Thèse de Doctorat E.H.E.S.S , Paris,1996 , page 107

[3] - مديرية الفلاحة لولاية عين تموشنت

4 -DJAFFER Lesbet ,op cit, p 70

5- MOSTEFA Boutefnouchet ,(Système social et changement social en algerie), OPU, Alger ,1984, p33

الوسيلة الوحيدة للكسب و سد حاجياتهم اليومية ، الأمر الذي أوجد للمعمرين فرصا لشراء ما يحتاجون من مواشي و أبقار و دواجن بأثمان زهيدة .

2- ظهور السكن في وادي برقش :

: « الجزائر أمة و مجتمع، يثبت تواجدها الذي يعود إلى خمسة و عشرين قرنا عهد الإمبراطورية الرومانية القديمة مهد الحضارة الغربية الحالية [1] » .

فليست أرض الجزائر في القرن العشرين أرضا جديدة و لا عذراء و لكنها تتميز بثقافتها المكتسبة عبر آلاف السنين ، فهي بالتالي منغرسة في أرض قد شكلتها بدورها[2]، حيث ساد العمران في هذه البلاد خلال القرون الماضية و تواجد الإنسان في المدن ، : « و قد أقام مسكنه بشتى الطرق مستعملا مواد البناء المختلفة و المتواجدة في المحيط مشكلا كل جزء منه حسب وظيفته[3] ».

أما في الغرب وتحديدا في مدينة عين تموشنت و ضواحيها، فقد أظهرت الاكتشافات تواجد للإنسان في عدة مناطق منها منطقة *المالح* التي تعود إلى 50000 سنة [4] و جبل *سيدي قاسم* في منطقة * **تارقة** * التي تعود إلى 15000 سنة [5] ، كما تبين

1- MOSTEFA Boutefnouchet ,op cit, p 9
2- MARC cote (choix d'espace ,choix de société) ؛ la ville et l'urbanisation revue mensuelle REPERES 03/1977 Edition Marinor , Paris, p 181
3- Ibid , p 181
4- SAFI moussa Boudjemaa ,op cit ,p 8
5- Ibid,op cit, p 13

تواجد أولى التجمعات البربرية أو البربرية الفينيقية من خلال اكتشاف مجموعة المساكن المبنية من العشب و التراب في منطقة * سيدي بن عدة*[1].

و يذكر أيضا عن تمركز القرطاجيين والفينيقيين في كل من مناطق *عين تموشنت* المسماة آنذاك ***سفات*** و جزيرة ***غول*** التي تسمى حاليا *رجقون*[2]، وجبل *كروليس* في ضاحية *شنتوف* حسب لغة الكتابات المكتشفة على الأضرحة و المنسوبة إلى القرطاجيين [3]. اشتهرت مدينة عين تموشنت المسماة أيضا *ألبولاك* سنة 203 م بإنتاجها لمادة الكلس المستعملة أنذاك في البناء حيث لقبت "بالمدينة البيضاء" نتيجة تواجد أفران الكلس في ضواحيها [4]، و تميزت من جهة أخرى كمنطقة احتكاك ثقافي بين أهالي البربر و اللاتينيين الذين اعتنقوا الإسلام بعد الفتح سنة 704 م و تبعهم أبناء الرومانيين القدماء و اليهود و قبائل زناته [5].

1- SAFI moussa Boudjemaa ,op cit, p 11

2- Ibid , p 11
3- Ibid , p 16

4 -Ibid , p 26
5- Ibid , p 45

أ – **السكن الأوربي** :

تعد بداية انجاز التجمع السكني *قرية قاستون دومرق* سنة 1924 م تاريخ ظهور السكن في منطقة وادي برقش وحدث ذلك تحت إشراف الإدارة الفرنسية التي أسندت بدورها عملية البناء إلى المقاولين الخواص حيث كانت ثلاثة سنوات من العمل المتواصل كافية لافتتاح القرية رسميا سنة 1927م [1] .

تمت أشغال البناء حسب مخططات و تصاميم قد أعدت مسبقا و تضمن مخطط التجمع السكني ستون مسكنا و مقرات منها (البلدية– البريد – الدرك الوطني) و مباني أخرى للكنيسة و المدرسة الابتدائية و سوق مغطاة .

أوضح تطبيق هذا المخطط ميدانيا مفهوم القرية عند الأوربيين في مجال تنظيم فضاء السكن ، الذي يخضع مثله مثل مخطط المدينة إلى مجموعة من القوانين تنظم و تحدد معايير البناء فيما يخص الارتفاع وشكل السقف و الواجهة الأساسية للمسكن من جهة ، و من جهة أخرى مساحات الكتل المبنية و الساحات و المرافق العمومية ، كما أن هناك تفاصيل حسب الأهمية لمختلف الشوارع المستقيمة حيث نتجت من تقاطعاتها مساحات الكتل المبنية المستطيلة الشكل و قد تميزت الشوارع بعرض 10م باستثناء عرض الشارع الرئيس الوحيد الذي هو بـ 20م .

[1]- معلومات شفهية من أشخاص مسنين عايشوا الحدث و عملوا عند المعمرين في ميدان الزراعة واستصلاح الأراضي.
تفيد بعض المعلومات بأن المعمرين اللذين توافدوا هم عسكريون من صنف الضباط قد جندوا في الحرب العالمية الأولى. فبعد تقاعدهم كافأت الإدارة العسكرية بحيازة لكل واحد منهم بقطعة ارض مساحتها 60 هكتار وبمسكنا حيث يتم تسديد المستحقات بالتقسيط على مدة 30 سنة. .

يتكون المسكن الفردي من طابق أرضي،كتلته المبنية مربعة الشكل و تشمل هذه الأخيرة كونها وحدة سكنية (ثلاث غرف- مطبخ—حمام-مرحاض-بهو)،كما تحيطها على الجانبين ساحة واسعة المساحة.

تتميز واجهات المساكن بالتشابه الكلي من حيث علو البناء (4.00 م) ، شكل النوافذ و أبواب المداخل و الأسقف، فباب المدخل (2.50x1.40 م) و النافذة (2.00x1.00 م) أما السقف فهو هرمي الشكل بدعائم من الخشب و غطاء من القرميد ألأجوري اللون المصنوع بمرسيليا- ،كما استعملت الحجارة في بناء مختلف عمائر القرية فسمك جدرانها الخارجية (50 سم) و الداخلية (30 سم) ، و قد تم تلبيسها بمزوج مادتي الإسمنت و الرمل .

فالمسكن الأوربي بوحدته السكنية هو عبارة عن كتلة واحدة مبنية تضم كل من الغرف و المطبخ و الحمام و البهو الذي هو الجزء الوحيد المشترك بين أفراد العائلة باعتباره فضاء يسمح بتنقلهم من جزء إلى آخر بداخل المسكن و بعملية الخروج و الدخول من و إلى الشارع ، أما الساحة فهي تحيط بالكتلة المبنية و تعتبر فضاء ذو وظيفة خاصة يستخدم من طرف كل الأفراد .

ب – السكن الشعبي :

السكن الشعبي بوادي برقش هو ثاني نوع بعد السكن الأوروبي و قد أنجزته ذاتيا الأسر الجزائرية ابتداء من سنة 1939م في مكان قد تم تحديده مسبقا من طرف مصالح البلدية التي ارتأت توفر الجانب الأمني للفرنسيين و سهولة استطلاع العسكر عليه و على كل محيطه من خلال إمكانية رؤيته من برجي المراقبة بتواجد أحدهما في شماله و الأخر في جنوبه .

يتواجد السكن في الناحية الغربية للتجمع السكني الفرنسي عن بعد (20م) من السياج الذي يحيطه و لم تكن مساحة الموقع تهم الفرنسيين لتوسع عمراني مستقبلي لهم كونهم فضلوا موقعا آخر من الناحية الشرقية نظرا لانحداره وقربه من الوادي بمسافة (200م) .

كانت الأسر الجزائرية المرحلة من مختلف أماكن تمركزها في إقليم وادي برقش مجبرة لإنشاء تجمعها السكني دون الرجوع إلى ايجابيات أو سلبيات الموقع مثلما فعلت الإدارة الفرنسية حين أنجزت تجمعها السكني.

ب1– اختيار الموقع :

أصبح حينذاك الموقع محددا جغرافيا حيث توجب على الأسر الجزائرية تفصيله وتنظيمه رغم الضغوطات المحيطة بهم من أجل تحقيق كتلا سكنية و دروبا و بالأخص مساكنا التي هي الجانب الأكثر تمثيلا لمعرفة فن التنظيم و استعمال الفضاء

عند الجماعة و الأفراد وفق ثقافتهم ، أو كما يراها قزافي تايسن XAVIER thyssen من زاوية أخرى :« بالنسبة للثقافة المنتهجة المسكن هو الموضوع الأكثر تمثيلا و دلالة لمعرفة العلاقة بين الجماعة و الفرد [1] ».

فكل موقع يتميز عن الآخر بعوامله الفيزيائية الدائمة كالطبيعة الطبوغرافية و المناخ المحلي و اتجاه الرياح ، فهي من العوامل الأساسية و لكنها كما يقول أموس رابوبور AMOS rapoport في هذا السياق : « يلغى أحيانا البعد الإنساني كمبينات وحيدة غير مهملة للموقع بتقديم عوامل ثانوية ، و ذلك بدون الأخذ بعين الإعتبار القوى الثقافية و الاجتماعية الفاعلة التي تظهر بالتالي كعوامل مبينة[2] ».

فتواجد مكان السكن الشعبي على سفح هضبة من الجهة الغربية للتجمع السكني الأوروبي ، يجسد بكل وضوح اختلافا طوبوغرافيا يظهر قسمين في النسيج العمراني : فالقسم الأعلى يسكنه الفرنسيون أما الأسفل فيسكنه العرب،كما هو الحال في معظم التجمعات السكنية المغاربية[3].

يبين هذا الوضع تفرقة أثنية و اجتماعية و قد أشار فاروق بن عطية إلى مثلها : « إن جعل الفضاء صالح للاستعمال يسمح بتدارك العلاقة الاثنية[4] » و عليه يجب أن يكون المكان بمثابة المحيط الجامع الذي يمتلك كل الوظائف من أجل إنشاء حياة مشتركة .

1- XAVIER thyssen , (des manières d'habiter dans le sahel tunisien), Edition du CNRS les cahiers du CRESM N°15, Marseille, 1986 , p 149.

2-AMOS rapoport (pour une anthropologie de la maison) Collection Aspect de l'Urbanisme , Dunod , Paris ,1972 , p 65.

3-MOUSSAOUI Abdelrahmane ,op cit, -p 82

4-FAROUK benatia , op cit, p 110

فالمدينة كما يعرفها الدكتور جمال حمدان : « هي شكل من التجمعات البشرية البالغ الكثافة و التنظيم و التعقيد كما انها الأرحام بين مقومات روحية ومعنوية و مكونات مادية مجسدة للأولى ، و لا يمكن الفصل بينهما[1] » ،حيث أن الأسباب أوجدت بوادي برقش تجمعين سكنيين : فموقع الأول هو للفرنسيين و ذلك بعد دراسة و اختيار أما موقع الثاني فكان للأسر الجزائرية دون محض إرادتهم في اختياره ، فإذا كان الموقع في حد ذاته لا يكفي لإنشاء تجمع سكني و بالأخص الحفاظ عليه فيمكننا إدراك الظروف الصعبة التي تجاوزتها الأسر الجزائرية من اجل الاستقرار .

فكما يشير الدكتور عفيف بهنسي : « هناك شروطا يجب توفيرها أو أن تكون متوفرة و هي الماء و الاستقرار و التبادل و المقصود هنا التبادل التجاري و الاقتصادي[2]» ، أما عن أهم شروط الحياة فقد أنجزت البلدية بغرض تزويد الأفراد بالماء في داخل حي المساكن الشعبية ثلاث صهاريج قد تم ربطها بقناة مائية ابتداء من الخزان الوحيد المتواجد في الحي السكني الفرنسي مما سمح لمصالح البلدية أن تتحكم في هذا المورد ، وكان الجانب الأمني من مهام العسكر و مراقبتهم المستمرة من خلال دورياتهم حفاظا بالدرجة الأولى على أمن الفرنسيين و توفير للأسر الجزائرية الحماية المدنية بشكل محدود مع تعقب تحركات جميع أفرادها بعدما أصبح معظمهم يشتغل عند المعمرين في ميداني الزراعة و البناء على العموم ، إذ تحول تجمعهم السكني إلى تجمع مستهلك للمنتجات الغذائية المعروضة في دكاكين الفرنسيين وذلك مما يتقاضونه من عملهم اليومي حيث لم يبقى إلا لقليلهم بعض الحيوانات الدجنة و مواشي تفيدهم في اقتصادياتهم اليومية .

1 - جمال حمدان ; مرجع سابق ص 63 .
2 - عفيف بهنسي ، مرجع سابق ، ص 73 .

أنتجت بالتالي معطيات الموقع عزلة فيزيائية و تفرقة أثنية و ثقافية و اجتماعية في فضاء محتوم لا بديل قد ساهمت كلها في ظهور تجمع سكني يبتعد عن سبل التطور الاجتماعي و الاقتصادي .

ب2- الفضاء :

أصبحت مهمة تنظيم و تعمير الموقع بحدوده و معطياته من صلاحيات الجماعة و الأفراد باعتباره فضاءهم الخاص . فمن خلال الفن المعماري للمساكن الشعبية و التي تعني هنا المسكن الذي ينجزه الفرد من منطلق تصوره و إبداعاته دون أن تكون هناك قوانين و ضغوطات تحد من إرادته ، فينتج مسكنا يتجسد فيه بعديه الفكري و الثقافي مقابل فن معماري أوروبي يتواجد كظاهرة في نفس الموقع، فنقول أن منظميه قد تحرروا من قوانين الإدارة الفرنسية و فرضها لمنهجية تمس طرق التنظيم و أساليب بناء المساكن، كما أننا نجزم بالنفي وجود ذاك الفرد بقيم جديدة مكتسبة من عند الغرب [1] .

فالإنسان مثله مثل الجماعات يدرك أهمية السكن و ضرورياته ، و يتطلع بكل اهتمام إلى انجاز مسكنه ، فحين نتحدث عن مفهوم السكن و المنطقة لا يحضر في أذهاننا فقط تلك الأبعاد كأفكارنا و حركاتنا العادية و طبائعنا المألوفة ، و إنما أيضا كما يقول الدكتور موساوي : « المكان الذي يثبت الإنسان من خلاله وجوده » . [2]

1 - XAVIER thyssen , op cit , p 21
2 -MOUSSAOUI Abdelrahmane , op cit , p121

إذن فالمكان يتميز بتخصصه الذي وجد له ، حيث تصبح مساحته الأفقية المحددة لفضائه عنصره المكون .

إن الحوادث الطبيعية و انجازات الإنسان المادية في مكان ما تجعل فيه مميزات خاصة تتبلور في خصوصيته و تصبح عندئذ عناصره الأساسية و شواهده على الزمن المفارق و تكون العلاقة بين المكان و الفضاء : « أن المكان هو قطعة من فضاء، فهذا الجزء من الفضاء هي الوعاء الذي ينغرس في المكان كي يؤسسه ».[1]

فالمكان بخاصيته أو بخصوصياته التي اختير لها يصبح قطعة من فضاء مجرد ، تمتد حدوده حتى حدود فضاء قطعة أخرى.

فنستنتج مما ذكر أن قرية وادي برقش كمكان هي فضاء شامل مكون من جزأين : الأول يحوي السكن الفرنسي و يمثل فضاء خاصا ، أما الثاني فيحوي السكن العربي و هو متميز عن الأول ، تنتهي حدود احدهما عند بداية حدود الآخر ، و عليه نأخذ بعين الاعتبار الانفصال الكلي بين الحيين .

1- MOUSSAOUI Abdelrahmane , op cit , p 41

ب3 – الكتلة السكنية :

تعرف الكتلة السكنية من المنظور التعميري بأنها وحدة من وحدات الحي و هي عبارة عن مساحة مبنية و محاطة بالشوارع و الدروب من كل جوانبها ،و تضم مجموعة من المساكن المتلاصقة و المتلاحمة فيما بينها ، حيث تبرز أهميتها من خلال عدد مساكنها و سكانها و حركة تنقل الأفراد من حولها ،و تعتبر من أهم البيانات في المخططات العمرانية الحالية لتوسعات المدن و القرى باعتبارها توضح جميع المعطيات منها شكل التوسع إن كان أفقيا أو عموديا و المرافق العمومية ومقاييس و أشكال كل من الشوارع الرئيسة و الثانوية التي تعد شرايين الاتصال بين مختلف الأجزاء المبنية .

كانت الكتل المبنية في العصور القديمة ولاسيما في المدن الإغريقية الرومانية تأخذ أشكالا مربعة أو مستطيلة و ذلك توازيا مع الشوارع الرئيسة و الثانوية المستقيمة و المتعامدة [1] كما هو حال التجمع السكني الفرنسي في وادي برقش ، أما في المدن العربية القديمة مثل بغداد و فاس فهي بأشكال غير متجانسة و ذلك تناسبا مع مسارات الشوارع و الدروب الملتوية و المنكسرة لأهداف عسكرية و أمنية بالدرجة الأولى مثلما برزت في حي السكن الشعبي و ذلك دون سابق مخطط و تدخل لمصالح البلدية في عملية التنظيم التي ظهر من خلالها الناتج العملي و المادي للأفراد المنظمين و المشاركين الذين حولوا خلال سنين مكان حيهم إلى وعاء فضائي يميزهم باحتوائه لنسيج عمراني يعكس تصوراتهم و دلائلهم و رموزهم التي تظل بالنسبة لهم شاهدا على الزمن المفارق ، حتى و إن كان هذا التنظيم لا يتضمن في نظر البعض مفاهيم عن جانب عمراني معين ، فالأسر الجزائرية و برغم جهد

[1] - محمد عبد الستار عثمان ،(المدينة الإسلامية) ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت ، 1977 ، ص 172

الإدارة الفرنسية التعسفي لتطبيق و تجسيد سياستها على الأفراد [1]، حققت لنفسها إحدى و عشرين كتلة سكنية و أنجزت مائة و سبعة و ستين مسكنا.

اتخذ الأفراد في بداية التعمير تواجد قناة المياه والصهاريج الثلاثة كمعالم ميدانية هامة حيث تحدد مسار الشارع الرئيس من خلال جعل مسار القناة يتوسطه وكان ذلك بجعل الجدار الأمامي لكل مسكن على مسافة ستة أمتار عن القناة وعليه أصبح عرض الشارع اثني عشرة مترا ، كما لعبت أمكنة الصهاريج دورا في قرب المساكن منها باعتبارها نقاط التزود بالماء .

ارتكز تلاحم وتلاصق المساكن فيما بينها على أساس درجة القرابة و العلاقات المتواجدة بين الأفراد حيث اتخذت الكتل السكنية من أسماء العائلات تسميات لها ، و نتج عن ذلك تكتلات أسرية كبيرة قد ميزتها صفات الوحدة و التقارب و كثرة التزاور . لم تكن طريقة تلاصق مساكن أفراد الأسرة الواحدة تعني عند الآخرون التنافر فيما بين الأسر و فقدان الوحدة بينهم بل كانت هناك على المستوى الاجتماعي سمات الالتحام الجماعي و التعاون بين مختلف الأسر و الأفراد و أهمها التي برزت أثناء إنجاز مساكنهم و حتى العائلات التي توافدت من مناطق بعيدة بحثا عن الاستقرار فقد مدت إليها يد المساعدة من طرف المتواجدين لإنشاء مساكنا لهم في كتل سكنية بجوارهم ،فتقارب المنازل يوفر ظروف اللقاءات و الزيارات بين الأسر و الجيران و لاسيما ستر الحرمة عند حاجاتهن إلى التزاور و تفقد بعضهن البعض[2] ،كما أن: « الدروب أصبحت آمنة يلعبون فيها الأطفال منتجين جوا من البراءة و يوحدون بين مشاعر الآباء[3]».

1-MOSTEFA Boutefnouchet , op cit , p 28

[2] - محمد عبد الستار عثمان ، ،(المدينة الإسلامية) ، ص 596

[3] - نفسه ، ص 338

مثلت الدروب الملتوية و المنكسرة نتيجة مفهوم التكتل العائلي و الطبيعة الطبوغرافية الصخرية للموقع فواصلا لا يزيد عرضها عن أربعة أمتار بين مختلف الكتل المبنية التي تزايدت فيها مع مرور الوقت أعداد مساكنها بصورة غير متجانسة حيث ظهرت متباينة الأشكال و المساحات و قد بقي في عمق بعضها أمكنة دون استعمال فتوجب على الأفراد إنشاء ممرات بعرض مترين يصلون من خلالها إلى منازلهم و في الحالات هي ممتدة كمخرج نحو درب آخر .

أما من حيث الجانب الفيزيلوجي فتلعب الكتل السكنية المتقاربة و دروبها الملتوية أدوارا هامة في حفظ المساكن المنجزة من الحجارة و من الطوب من قوى الرياح خاصة نتيجة انكساراتها و أيضا من المؤثرات الجوية بتوفر أجواء رطبة في عمق الحارات الأمر الذي يساعد في تهوية المساكن و الساحات و الدروب.

من الواضح أن ثقافة التعمير عند الجماعة لم ترتكز على التقليد و لم يكونوا من أهل الاختصاص في هذا الميدان ،إنما قدراتهم الفكرية و التصورية المنصهرة في معارفهم الدينية و الاجتماعية و العلاقات جعلتهم يشكلون فضاء يصلح لبناء مساكنهم وهو بالتالي فضاءهم الخاص و المميز ، فهذا الكل هو نسيج عمراني و نتاج عملي تشكيلي للجماعة حسب بعدها الإنساني و الثقافي ، متخذة بعين الاعتبار نمط حياتها و قيمها الاجتماعية و العلاقات المتواجدة بين الأفراد ، و اعتبرته النمط المعبر عن نظرتها لتحقيق الأمن و الاستقرار و الاحتماء.

ب4- الشارع والدرب :

لا يكفي لموقع وحده لتطوير مدينة أو تجمع سكنيي اقتصاديا و اجتماعيا، فالانفتاح على المدن المجاورة و البعيدة يلزمه تبادلات تجارية بينها و تنقلات مستمرة للأشخاص و البضائع ، حيث تلعب الطرقات دورا حيويا في الاتصالات البرية ،فطبيعة الحال يجب توسيعها و تعبيدها و توفير الأمن فيها و هذه من الأولويات الأساسية و الضرورية نظرا لوظائفها الهامة و الخاصة ، إنما تختلف ادوار الشوارع و الدروب و الأزقة عن هذه الأخيرة باعتبارها تسمح بحركة تنقل الأشخاص من مكان إلى آخر بداخل أي تجمع سكني كان .

«و بصفة عامة فالشوارع المختلفة و الدروب تمثل شرايين الإتصال و الربط بين مجموعة من الأماكن إرتباطا عضويا في صورة هيكلية : تعتبر أفضل الأسس لتقييم ثقافة مدينة[1]» ، فمن حيث الوظيفة كشفت الدراسات الأثرية لدى الحضارة المصرية القديمة أهمية الشوارع التي تؤدي إلى معابدها و التي تربط بين وحداتها المختلفة حيث ارتبط تصنيفها بالطقوس و المراسيم في تلك العصور [2] .

« و إن فكرة الشوارع المستقيمة المنتظمة التي تقطعها الشوارع عرضية تواجدت أصلا منذ الحضارة المصرية القديمة و تبلورت في المدن الإغريقية و اتخذت شكلا تطوريا عند الرومانيين حسب النظم المتبعة[3]» . كما كان للدوافع الحربية و الأمنية ظهور لنظام تحصين المدن في الشوارع من حيث مقاييسها و التوائها و إنشاء الأسوار عند أبواب ما يمكن معاينته في بغداد و القاهرة مثلا ، ففي مضمون ضيق الشوارع و

[1] - محمد عبد الستار عثمان ، ،(المدينة الإسلامية) ، ص 38 .
[2] - نفسه ، ص 38
[3] - نفسه ، ص 171 .

الالتواء يقول محمد عبد الستار : « إن جل الدراسات الاثرية و الحضارية و التاريخية للمدينة الإسلامية وصفت شوارعها وصفا أتسم بالتعميم » .[1]

يمكن أن تكون الدروب الضيقة و الملتوية في وادي يرقش قد لعبت دورا إيجابيا ساهم في تحركات سرية و آمنة للمجاهدين و في الوصول إلى مساكن مقصودة للراحة و الاتصالات و التموين كونها لا تسمح بمرور العربات و تعيق التحركات السريعة للجيش الفرنسي في عمق الحارات التي تشكلت بصورة تدريجية مع مرور السنين منتجة نسيجا عمرانيا عفوي يرتكز على المنظور الوظيفي لكل جزء من أجزائه فكانت هناك الدروب والمسالك المتفرعة من الشارع الرئيس التي فصلت مجموع الكتل المبنية عن بعضها البعض كشرايين الاتصال سمحت بحركة الأفراد مشيا على الأقدام و مستعملين الحمير و البغال لنقل حاجاتهم و مستلزماتهم من حارة إلى أخرى عبر مساراتها الملتوية و المنكسرة التي كانت بسبب ميول هؤلاء لفكرة التكتل العائلي ، فقد جعلوا مساكنهم متلاحمة و متلاصقة و غير بعضهم اتجاهاتها و أنجزوها عموديا لمنحنيات المستوى نتيجة طبوغرافية المكان المتميز بالانحدار إلا أنهم حافظوا على عرض الدرب المتعارف عليه و هو (4.00م) .حينئذ تحولت هذه الدروب إلى عبارة عن ممرات مجسدة ماديا من خلال جدران المساكن التي ترتفع حوالي ثلاثة أمتار وقد انعدمت فيها النوافذ و بقيت الأبواب كمنافذ لها في صورة متنا كبة كما أرادها الأفراد وذلك لعدم كشف حرمة أي فضاء داخلي أثناء الدخول و الخروج و هي دلالة على الاحترام القائم بكل أبعاده بين الجيران . أكتسب الممر من خلال وظيفته التي تسمح

[1] - نقلا من هوامش ; محمد عبد الستار عثمان ، ،(المدينة الإسلامية) ، ص 149 .

بتنقل أشخاص معينين للوصول إلى مساكنهم و لاسيما إذا كان المسلك منتهيا في عمق الحارة، صفة قلة الحركة أو شبه انعدامها أحيانا في بعض الأوقات ،فالحركة في الدرب هي أكثر بكثير من الممر باعتبار فضائه مستعمل للتنقل من حارة إلى أخرى .

و من منظور فيزيائي فلضيق الدروب دور قي توفير الظلال لمدة زمنية طويلة تقلل من تعرض الجدران لأشعة الشمس ما ينتج رطوبة نوعية بداخلها و في الساحات كون تميز بمناخ بارد شتاء و حارا صيفا.

يبرز تنظيم الدروب و الممرات في الحي الشعبي طابع التعاون والتلاحم الاجتماعي الذي يحقق الأمن و الطمأنينة للأفراد و قد نسجوه بطريقة وظيفية فمن هنا تكون صفة العفوية أبعد من أن توصف به طريقتهم و لاسيما حين نجد أن هناك تشابها لبعض مميزات هذه دروب مع تلك المتواجدة في المدن العربية و الإسلامية قديمة.

الفصل الثاني

الفصل الثاني :التنظيم و تفصيل المسكن

1 – مفهوم السكن

2 – الوحدة السكنية

ا – الساحة

ب – الغرفة

ج – المطبخ

د – الأبواب و النوافذ

1- مفهوم السكن :

إن أول بيت بني على وجه الأرض هو بيت سيدنا آدم عليه السلام الذي يتواجد في ضواحي دمشق في قرية بيت أبيات [1]، و يقول الدكتور بهنسي : « إنه بيت آدم حقا ، و لكن هذا البيت الذي يرجع إلى أحد عشرة ألف سنة من يومنا هذا كان قد شهد رقيا معماريا تجلى في إقامة بيت من الطين المدعم بأعمدة الحور و النخيل المشرب بواسطة قدوم من الصوان و المؤلف من غرف واسعة دائرية الشكل و مغطاة بزخرفة هندسية ملونة بالأحمر و الأسود[2] ».

فالوظيفة الأساسية للبيت هي توفير الراحة و الاستقرار و إخراج الذات من الهيجان و القلق ،: « فالبيت يدل على الليل و الخوف و العالم الآخر»[3] ، و يقول **قزافي تايسن** XAVIER Thyssen : « بالنسبة لعلم النفس و علم النفس الاجتماعي ، البيت عبارة عن فضاء متواجد يسعى الإنسان إلى تغييره كي يضمن لنفسه حماية أفضل أمام العالم الخارجي بحيث يصل إلى إنشاء فضاء يوفر له الأمن ، و هذا يعتبر عادة ذات بعد تاريخي »[4] ، فالبيت هو الملجأ الذي يوفر الراحة و الاحتماء من الأمطار و البرد والحرارة و الرياح إذ يتخذه الإنسان بمثابة المكان المفضل و الأحب إليه حيث فيه أمنه و طمأنينته و سكينته .

[1] - عفيف بهنسي ، مرجع سابق ، ص 19.
[2] - نفسه ، ص 24 .

3-MOUSAOUI Abdelrahmane , op cit , p 155.

4-XAVIER Thyssen , op cit , p 33.

و ذكر الأمن في القرآن الحكيم في الاية 3 من سورة التين :« **و هذا البلد الامين** » أي البلد الآمن و المقصود مكة ، و في الاية 125 من سورة البقرة:« **و إذ جعلنا البيت مثابة للناس و امنا و اتخذوا من مقام ابراهيم مصلى و عهدنا الى ابراهيم و اسمعيل ان طهرا بيتى للطابفين و العكفين و الركع السجود** » .

و يقول ابن منظور نقلا عن ابن الأثير :« و الأَمَنَةُ في هذا الحديث جمع أمين و هو الحافظ[1] » .

أما عن الطمأنينة فيقول الزجاج :« أن طمأن معنى على القلب ، التهذيب في الثلاثي: أطمأن قلبه إذا سكن، و أطمأنت نفسه و هو مطمئن إلى كذا و ذلك مطمأن[2] »، و يقول أبو إسحاق عن ما جاء في قول الله تعالى :« **فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة** » بمعنى إذا سكنت قلوبكم ، و يقال إذا اطمأن الشيء سكن[3] و السكون ضد الحركة ، و يقول ابن منظور :« سكن الرجل سكت ، و قيل سكن في معنى سكت و السّكون هو الهدوء بعد الحركة »[4] ، و عن أبو عبيد نقلا عن ابن منظور :« أن السّكان ما تسكن به السفينة بمعنى ما تمنع به من الحركة و الاضطراب[5] ».

و يقول الأزهري :« سميت سكينا (و أصل الكلمة سكن) لأنها تسكن الذبيحة أي تسكنها بالموت ، و كل شيء مات فقد سكن ، و يضيف : سكن بالمكان يسكن سكنى و سكونا أي أقام[6] » .

---

[1] - ابن منظور ، (لسان العرب) ، ط 2 ، دار صادر ، بيروت ،1994 ، ص 21

[2] - نفسه ، ص 278 .

[3] - نفسه ، ص 278.

[4] - نفسه ، ص 211.

[5] - نفسه ،ص 211.

[6] - نفسه ،ص 212 .

و قال ألحياني :« و السكن أيضا سكنى الرجل في الدار ، يقال لك فيها سكن أي سكنى ، و السكن و المسكن ، المنزل و البيت و قوله تعالى " جعل لكم الليل سكنا " ، و السكن : المرأة لأنه يسكن إليها [1]».

و عن المهدي نقلا عن ابن منظور يقول :« السكن المسكن ، يقال لك سكن و سكنى بمعنى واحد ، و سكنى المرأة : المسكن الذي يسكنها الزوج إياه ، و في حديث قيل أن النبي صلى الله عليه و سلم قال لها يا مسكينة عليك السكينة ، أراد لها الوقار و الوداعة و الأمن ، و يقال رجل وديع وقور ساكن هادئ [2]».

فالمسكن بالنسبة للإنسان من أهم المكتسبات المادية التي يسعى كادحا لتحقيقها من اجل إسكان زوجته وتنشئة أولاده و يضيف حسن فتحي :« إن غيابه من أشد أسباب الغضب ، حيث يمثل الرمز الظاهري للانتماء و التعريف العائلي[3] » من جهة ، وهو بمثابة الشاهد الدائم لوجوده و الذي يرمز لشخصية العائلة حاملا الخشوع في نهاية بنائه و تكوينه من جهة أخرى. و أصبح يتردد في اللغة العامية المثل القائل : " مسكنك هو قبرك في الدنيا " إذ يطبق أساسا على المرأة ما يبين :« أن المسكن هو قبل كل شيء ملجؤها باعتبار أن الرجل لا يمكث في البيت طويلا إلا للراحة و المبيت[4] ».

---

[1] - ابن منظور ، مصدر سابق ، ص 212 .

[2] - نفسه ، ص 213 .

3- HASSAN Fathi (construire avec le peuple) Edition 1
traduit de l'Anglais par Yana Karnel , laminère de Pierre Bernard, Bibliothèque Arabe Sind-bad,1977, p 72

4-FAROUK benatia , op cit ,p 32

و يشير حسن فتحي إلى :« كلمة حريم و معناها الزوجة و منها كلمة **حرم** أي المرأة : ما يعرف في السكن العربي بالمكان الذي تسكنه العائلة و المتميز بأهميته الكبرى التي تتضمن عدم كسر هذا الفضاء و الحرمة الأنثوية التي يحتويها [1] » ، ويدرج هذا المفهوم باعتبار أن ذلك الفضاء أو الحرم و الذي معناه المسكن يخص المرأة و هو مكان عملها و لقاءاتها :« حيث أصبح متداولا في اللغة العامية استعمال مفهوم كلمة الدار للدلالة على الزوجة » [2] .

من هنا يمكن الربط بين بعدين متكاملين : الأول تاريخي يحققه الإنسان بنفسه من خلال بناء مسكن يوفر له الأمن و الاحتماء ، أما الثاني فهو إنساني يتحقق من خلال انسجام تطبيقاته الحياتية مع فضاء ذاك المسكن ، و قد شمل قول لكور بيزي lecorbusier الارتباط المتواجد بين الإنسان و مسكنه :« لم يعد المسكن جزء قديما مثقلا و منغرسا في الأرض بأساسات عميقة مشيدة بصلابة بقدر ما هو أيضا مرتبط و من زمان بوجود الطقوس العائلية و العرقية ... » [3] ، إذ تنطبق مقولة

جون بيار كابرول jean pierre cabrol تماما على هذا المفهوم :« الرجال يصنعون المساكن والمساكن تصنع الرجال » [4] تماما على هذا المفهوم ، و من جهة أخرى يتبين عدم ارتكاز السكن على دوره الوظيفي فقط : «و لكن على عنصر أساسي للعلاقة العائلية أو الفرد مع وسطه الاجتماعي الذي هو وسط ثقافي وحضاري، فالعلاقة المستمرة مع المحيط بإطاره التاريخي و الجمالي و الوظيفي أي كان ينتج نوع الإنسان [5] » ،

1- HASSAN Fethi ,op cit, p 107.
2- BRAHIM Benyoucef (M'Zab : les pratiques de l'espace)
Entreprise National du livre , Alger, 1986, p 10.
3- Le Corbusier , (vers une architecture), Edition Arthaud, Paris, 1979 , p 193.

4- voir notes PAUL pandolfi (l'habitat du hoggar entre tentes et maisons ; la hutte)
Publié sous l'égide du centre d'études sur l'histoire du sahara ,Carhala ,Paris, 1994 ,p 38

5- FAROUK bénatia , op cit , p 301.

وذلك لأن الفضاء الذي يعيش فيه الإنسان ليس معلومة خيالية أو مجرد مساحة أرض بدون ميزة ، بل هي حقيقة مميزة ينظمونها الأفراد وفق نظرتهم للحياة أي حسب ثقافتهم التي هي كما حددها إدوارد تايلور edward taylor في مضمون تعريفه : « ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة و العقائد و الفن و الأخلاق و القانون و العرف و كل المعتقدات و العادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان كونه عضو في المجتمع [1] » ، فبالتالي نجد أن المساكن التي تعكس ثقافة البشر توفر أيضا إعجابا مزدوجا عند عالم الاناسة كما يقول فليب ونير philip waner :« و ذلك باعتبارها تساهم في إعطاء المناظر خصوصياتها التي تميزها و تجسد معاني الاحتكاك المركب بين المواهب الثقافية و المقاييس و الظروف و استخدام المواد الطبيعية في مجال البناء و تعكس بوضوح على مساكن شعوب العالم ظروفهم الطبيعية الخاصة بمحيطاتهم مبرزة ميولهم و مؤهلاتهم الثقافية[2] » ،

---

[1] - أنظر محمد حسن الغامضي ، (طريقة الدراسة الأنثروبولوجية الميدانية) ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية، 1989، ص2

2-voir notes COLETTE petonnet (espace , distance et dimension dans une société musulmane) L'homme volume XII, Cahier II , Paris Seuil, 1972, p 28.

2- الوحدة السكنية :

تختلف الوحدات السكنية من حيث عدد أجزائها و طرق تنظيمها وكيفية تنقل الأفراد من جزء إلى آخر بداخل فضاء المسكن ، و تشمل أي وحدة سكنية الغرف و المطبخ و الحمام و الممر و البهو .

يعرف المخطط برسوماته الهندسية و بياناته لفضاء مسكن ما باسم - مخطط المسكن- ، و يعتبر : « جزء من نظام فضائي و اجتماعي يشمل بالطبع نمط الحياة ، فالتقرير في استخدام الفضاء هو تصور للمسكن بكل أجزائه و أقسامه[1] » ، كونه يبرز في نفس الوقت بطريقة فنية نمط الوحدة السكنية و يوضح بشكل دقيق كيفية استعمال فضاء المسكن وفق نمط الحياة الذي يعكس حين انجازه : « طابع الشخصية العائلية و الفرد و تقديره الاجتماعي [2] ».

و مهما اختلفت و تعددت نماذج الوحدات السكنية فظلت العلاقة بين الإنسان و مسكنه ثابتة عبر العصور لكونها تطورية تهدف إلى توفير الأمن والطمأنينة و الاحتماء من جميع المؤثرات المناخية المختلفة باستعمال المواد الطبيعة في البناء على أساس معارف تقنية و تطبيقية و التي أسهمت بصورة إيجابية في إيجاد وحدة سكنية ذات حجم معين وظيفته إظهار الأجزاء ذات الاستعمال اليومي ،حيث يبرز من خلال هذا الناتج العملي الفني مسكن ذو وظيفة شكلا و مضمونا يتمثل في بعدين أساسيين : بحيث يكون في الأول الحكم لأفراد العائلة على القيمة الفنية للوحدة السكنية باعتبارهم يعيشون بداخل فضائها معبرين عن المحسوس ، أما في

1-EKAMBI schmidt jesabelle , (la perception de l'habitat), Edition Universitaire, Paris ,1972 , p 96 .
2- MOSTEFA Boutefnouchet , op cit , p 27 .

الثاني فيرجع الحكم إلى كل أفراد المجتمع على القيمة الفنية لظاهر المسكن و التعبير عنه ، و عليه يمكن القول أن المسكن يتخذ من تواجده في المكان فضاء خاصا و مميزا كإبداع مادي مركب من محسوس و ظاهر هو نتاج فكر و إرادة الإنسان عن طريق الممارسة الإبداعية التي تتبلور فيها مخيلته بتواجده كعنصر في المجتمع .

ويبقى مفهوم السكن لدى المجتمعات ثابت رغم اختلاف ثقافاته باستثناء متغير وحيد هو شكل و نوع الوحدة السكنية التي هي منطق الإنسان و بالأحرى :« نمط حياته و تصوراته المختلفة المتمثلة في الأحاسيس و المشاعر[1] ».

ليست تلك الثقافة التي هي ذلك الكل المركب الذي يشمل العلم و الدين و الفن و المعارف الشعبية من منظور القيم و عادات المجتمعات سبب وحيد في إبداع الأنماط العديدة من الوحدات السكنية ، بل للقدرات العلمية أيضا دور في ذلك من خلال استغلال المواد الطبيعية المتواجدة في المحيط أو المستوردة من أماكن بعيدة و استعمالها بصورة دقيقة في العمائر .

استعمل الإنسان منذ القدم المواد الطبيعية المتوفرة في محيطه كالحجارة و الخشب و الطوب في بناء مسكنه و لا تزال حتى الآن مستعملة ولكن في أشكال وأحجام مبسطة تتميز بالخفة و الأناقة بفضل دور الآلات و الأدوات و الوسائل الحديثة ،كما أسهمت الدراسات العلمية في ابتكار مواد جديدة تستعمل في البناء كالخرسانة المسلحة و استخدام مادتي الحديد و الخشب بتقنيات جد متطورة .

1- EKAMBI schmidt jesabelle , op cit , p 167.

كانت التوسعات العمرانية للمدن و القرى في البداية بشكل أفقي ثم تحولت نتيجة غلاء العقار وقلة الأراضي الصالحة للبناء إلى المستوى العمودي فتبلورت فكرة تنظيم الفضاء حول إبداع أنماط مختلفة من الوحدات السكنية المتميزة من حيث تنظيماتها الداخلية و رموزها و مواد بنائها و فقدت بالتالي و في نفس الوقت خصوصيات المساكن الفردية ، حينئذ انعدمت الساحة بمركزيتها و رموزها و انفتحت النوافذ كليا على الشارع و أصبحت أبواب المداخل متقابلة ، فأنتج هذا التحول في كل مجتمع فنا معماريا يميزه من خلال رموزه مثل المسكن الأوربي و الياباني و العربي و التركي ..... إلخ، إذ يمثل كلا منهم نموذجا اجتماعيا يبقى حيا في ذاكرة ذاك المجتمع و متوارثا عبر الأجيال .

شهدت دول العالم خلال القرن العشرين قفزة تطورية في مجال السكن ، نتيجة أسباب سياسية عديدة [1] لإسكان شرائحها الاجتماعية التي ظلت تنتظر حلولا للازمة ، بركب حضاري قد داهم الإنسان الذي انشغل جاهدا بالتطور العمراني بوتيرة سريعة لغايات سياسية و اقتصادية و دلك بالإشراف على المشاريع و تمويلها و السّهر على انجازها ميدانيا ، فكان الناتج العملي بروز العمارات بأشكال عدة و دون تشابه لوحداتها السكنية . من هنا بدا الشارع كمعمل لإنتاج مجموعات من العمائر المتتالية و المتشابهة التي ضمنت إسكان ما أمكن من المحتاجين في وحدات سكنية تكون قد فقدت بالتالي أهم ميزة لها وهي شخصية العائلة و رمزيتها التي نجدها في المسكن الفردي ، إذ تحول الكل إلى نمط سكني واحد لا تبرز فيه سوى دلالات

[1] - في أواسط القرن العشرين، كان لهيئة الأمم المتحدة دور في السلم العالمي و علاقات الدول، إلا أن تنامي الاديولوجيات الفكرية و الاقتصادية للدول أدى إلى ظهور التكتلات ، ما أنتج المعسكر الشيوعي الاشتراكي والمعسكر الرأسمالي الليبرالي اللذان تعايشا في حرب باردة و كذلك دول عدم الانحياز .

النظام السائد. لما استوجب تغيير عنصري التشابه و التتالي، اعتبرت الدول الشيوعية و الاشتراكية أن في اختلاف أشكال العمارات و عدد طوابقها إبداع فني جديد يظهر نجاحها و تطورها و عدالتها الاجتماعية ، ما لم يستقر عليه الوضع في أغلبية الدول الرأسمالية الليبرالية التي جسدت تصورا آخرا يكمن في إبداع وحدات سكنية متمايزة من حيث المساحات و طريقة تنظيمها من جهة و السّهر على جعل واجهات العمائر أكثر جمالا و أناقة .

فمهما كانت الأسباب و الأهداف من وراء بناء المساكن باختلاف أشكالها و أنواعها إلا أن الأهم هو التغيير الذي لحق بالإنسان نتيجة ما فقدت الوحدات السكنية من جوانب كونه أصبح أسيرا مع مرور الزمن في وسط حضاري مبتكر ،مزاحا عن دوره كحكما على الإبداعات الفنية الجديدة التي تهمه و مبعدا حتى عن المشاركة و إبداء الرأي فيها ، فحينئذ لم يعرف كيف يجد المحسوس في مسكنه و لا كيف يفهم ظاهره باعتبار أن كل ما يحيط به هو دخيل على مفاهيمه و تقاليده و قد جرده تماما من ثقافته و أفرغه من هويته و عبقريته.

تلعب حرية الفرد دورا أساسيا في اختيار نمط وحدته السكنية ما يسمح بتواجد علاقة توافق و انسجام بين فضاء مسكنه و تطبيقاته الحياتية ، و كنتيجة يمكن ذكر الوحدة السكنية في وادي برقش التي تعتبر فيها الساحة كجزء مركزيا و فضاء مشتركا تنتظم حوله باقي الأجزاء ، حيث فضل الأفراد هذا النمط طوال السنين باعتباره يعكس الجانب المحسوس بديلا عن نموذج السكن الأوروبي الذي لم يظهر له أثر تقليد

عندهم وهو على بعد عشرات الأمتار ،فكما يقول حسن فتحي:« لا يعني التقليد النقل الكامل للإبداع، و ليس بكثير نقل أسلوب البناء لقوم آخر أو لمنطقة أخرى، إنما يمكن استعمال طريقة البناء و لكن يجب تصفيتها من كل رواسب الأنماط الخاصة و من كل جزء[1] »،ربما افتقار الأفراد للإمكانيات المادية حال دون تقليد الشكل الظاهري للمسكن الفرنسي إنما لم يكن لديهم اهتمام بجانبه الوظيفي نتيجة انفتاح نوافذه على الشارع .

إن المعرفة العلمية ، للمواد الطبيعية و لتطبيقات استعمالها في بناء المساكن ،هي ثقافة متوارثة عبر الأجيال وأنها تنتج بالتوازي مع حرية الاختيار : « فنا معماريا مثاليا لا يتواجد إلا في العادة الحية[2]» ، فلا يقتصر تخطيط وحدة سكنية فقط من منظور معماري بل و في آن واحد على المنظور التقني و الفيزيائي لإظهار مقاومة عناصرها الهيكلية و ذلك حسب ما تتطلبه طبيعة الموقع و ظروفه المناخية و المواد الطبيعية و أساليب بنائها ، فيكون هناك بالتالي جمع بين جانبين الاجتماعي و الفيزيلوجي .

فالقوى الاجتماعية و الثقافية (التنظيم الاجتماعي ، الدين ، المعارف ...) هي الأكثر تعبيرا في تشكيل المسكن و استعماله : العلاقات المتواجدة بين الإنسان و مسكنه[3] ، فمثلا في وصف مساكن قورارة (القنادسة) يقول الدكتور موساوي : « يرتكز تقسيم الفضاء الداخلي للمسكن على مفهوم المقدس و ليس فقط على أساس الاحتياجات الضرورية و الموضوعية [4] » ، و كذلك المسكن المزابي الذي

1- HASSAN Fathi ,op cit , p 72 .
2- HASSAN Fathi , op cit ,p 89 .
3- XAVIER Thyssen , op cit , p 06 .

4-MOUSSAOUI Abdelrahmane , op cit, p 147 .

يظهر: « من دراسته حسب شكله المعماري و من زاوية وحيدة سواء كانت مادية (المناخ ، الاحتماء ،مواد و تقنيات البناء ، الموقع) أو إجتماعية (اقتصادية، دفاعية، دينية) ، يبرز فيه استبعاد تعقيد كل ما هو ظاهري[1] » ، و :« في الحقيقة لما نتأمل المساكن التي تبنى و يسكن فيها الأفراد الذين لم يتمكنوا من المشاركة في التخطيط و في البناء ، يمكن الملاحظة أحيانا أن الهيئة المخططة قد طورت عائقا لا يصون الرمز الذي يدل حسب الدين على المجتمع التقليدي بطريقة ظاهرة [2] » ، إذ كلما يفقد المسكن خاصية من خصوصياته يفتقر بطبيعة الحال إلى طابع اجتماعي.

من هنا يمكن القول أن مخطط المسكن و بنائه هو نتاج ثقافي أساسي و لكن معقد و إن تناوله :« يستوجب الاستحضار في العقل دائما الشمولية الثقافية المنفردة و الظرفية[3] » ، و التي لم تخلو منها بالتأكيد المساكن الشعبية كونها تحقق التوازن الوظيفي و الفيزيلوجي النابع من إرادة و ثقافة الأفراد .

أ – الساحة :

تكتسب الساحة بتواجدها في كل الوحدات السكنية في وادي برقش كجزء مركزي ميزتين أساسيتين : الأولى باعتبارها الجزء الوحيد الذي المتصل مع الشارع أو الدرب بصورة مباشرة من خلال فتحة باب المدخل في الجدار الأمامي و التي تتم منها عملية الدخول و الخروج ، أما الثانية كونها فضاء مشتركا يسمح بحركة تنقل

1- P. donnadieu et J.M. Didillion , (habiter le desert : les maisons mozabites) Architecture et Rechérches ,3eme Edition Pièrre Margada , Paris, 1986 , p 106.
2- XAVIER Thyssen , op cit , p 111 .
3- P. donnadieu et J.M. Didillion , op cit , p 106 .

أفراد العائلة من جزء إلى آخر بداخل المسكن و تعتبر الأكثر استعمالا من طرف المرأة التي تؤدي فيها معظم واجباتها المنزلية و لهدا اتخذت صفة أنثوية و ألقت برمزيتها على باب المدخل و عتبته فأنتجت بالتالي في فضائه طابعا من الاحترام و التقدير برز بصورة خاصة في خفة و حركة تنقل الرجال في الدروب.

يقوم تنظيم المسكن الشعبي على أساس وظيفة كل جزء من أجزائه و يكسب فضاء مميزا ، كما يشير إليه قزافي تايسن XAVIER Thyssen : « من حيث الهدف الوظيفي فالمسكن هو نتاج الساكن ، يتطور على أساس أنماط ثقافية تمثل في آن واحد تطبيقات و رموز تخص المجتمع و التنظيم العائلي و الأدوار و مجموعة من التناقضات[1] » ، فلا يتحدد فضاء الساحة على أساس البعد الإنساني إنما أيضا على البعد الاقتصادي الذي ينحصر في تربية الحيوانات الدجنة : « إن الساحة هي التي تميز مسكنا ريفيا عن مسكن حضاري ، و لاسيما حين يرتكز الاقتصاد العائلي على الفلاحة فإن أبعادها تكون تحوي أماكن للأبقار و الأغنام و الدجاج[2] » ، إذ تعتبر فضاء جامعا تتجلى فيه الحياة العائلية و الاقتصادية للأفراد من خلال مركزيتها و كونها ملتقى الأقسام الداخلية المبنية [3]، مثلما هي عليه ساحات المساكن الشعبية في وادي برقش التي تتباين من خلال عدد أجزائها و ذلك حسب أفراد كل عائلة و العلاقات المتواجدة بينهم كما توضحه أيضا كوليت بيتوني COLETTE petonnet :« إن السكن يتمثل في تشكيل و استعمال الفضاء لأغراض

مبنية حسب ظروف و أوقات اعتيادية ، تتطور من خلال الثقافة و قانون الجماعة و أعضائه و بنوع العلاقات المتواجدة و بالديانة[4] ».

1- XAVIER Thyssen , op cit , p 34 .
2- voir notes Ibid , p 35 .
3- Ibid , op cit , p 21 .
4- COLETTE petonnet , op cit , p 171 .

تعكس طريقة تنظيم المسكن الشعبي تحقيق لأبعاد ذات طابع اجتماعي و اقتصادي و إن في تحديد أماكن أجزائه المختلفة أهداف فيزيائية هامة : إن إبعاد كل من المرحاض و المطبخ عن مقدمة المسكن و إدراجهما في عمق الساحة أمر ضروري يوفر بطبيعة الحال تهوية للغرف و يؤمن طهارة و نقاء فضائه ،كما ينتج انخفاض بدرجتين بين حرارتي الساحة و الشارع بفعل حركة تيار الهواء المستمرة بينهما الذي يلعب دورا في تهوية الغرف ، إذ تكتسب الساحة لطاف هوائها و نقائه بفعل تصاعد الروائح إلى الأعلى و من ثم إلى الشارع باعتباره منطقة تفريغ نتيجة ارتفاع الضغط فيه [1]، ما يعطي لفضائها ميزة خاصة عند الأفراد ، و مثل ذلك نجده عند سكان الساحل: « فالساحة باعتبارها الفضاء المفضل عند الأفراد في المسكن فإنهم يطلقون عليها اسم " قلب المسكن " و هي مقولة مجازية و عكسية ، حيث القلب هو العضو المركزي و الحيوي في جسم الإنسان مغذيه و ضامن حياته [2]».

فالساحة إذن ،كما أوجدها الأفراد من منطلق إرادتهم و أفكارهم الثقافية و رموزهم الهامة هو تجسيد لفن معماري يسمح لهم بالعيش في داخل المسكن ، إذ يعكس بالتالي صورة مثالية لما يشير إليه **راموس رابوبور rapoport RAMOS**: « لا تخص دراسة السكن المعنى المعماري فقط ولكن الدلالة و العلاقة بين الإنسان و ثقافته المتبعة ، و ليس الأساس في المبنى في حد ذاته ولكن ما يعبر عنه من خلال تنظيمه و استعمالاته التي وجد لأجلها» [3] ، حيث تقام في الساحة معظم

[1] - محمد عبد الستار عثمان ، مرجع سابق ، ص 340 .

2-PH .Antoine et A. Dubresson , (Abidjan : Coté cour), Edition Carthala , ORSTOM , Paris, 1987 , p 143.

3- voir notes , COLETTE petonnet , op cit , p 34.

التطبيقات المعيشية و الحياتية للأفراد و تتخذ أيضا كمكان للجلوس و لقاءاتهم فهي الجزء الأكثر استعمالا . و تتغير وظيفة الساحة إذا ما تغير مكان تواجدها ضمن تنظيم أجزاء المسكن فيظهر نمط سكني بتصميم جديد ، فحسب التحليلات للنسيج العمراني في **أبيدجان** عاصمة **كوت ديفوار** فان أكثر المواطنين يعيشون في مساكن تعرف *بذات الفناء* [1]، حيث لا تتواجد الساحة في مساكنهم كجزء مركزي بل هي منفصلة عن الكتلة المبنية .

تواجدت منذ القدم المساكن التي تنتظم حول الساحة:« إذا أتبعنا مثال جون دسيموا الذي وصف ابتداء من سنة 1931 م مساكن الساحل في تونس في دفاتر الفنون و التقنيات لشمال إفريقيا يمكن اقتراح وصف دقيق نوعا ما للمسكن التونسي، ففي معظم الأوقات ينتظم حول الساحة و هو الفضاء المركزي الذي من خلاله يبنى المسكن ، فهذه الساحة ليست ميزة خاصة بالعالم العربي فالمسكن اليوناني و الروماني ينسجم حول فراغ داخلي » [2] ، و في نفس المضمون :« تعتبر الساحة منذ أقدم العصور عنصرا أساسيا في تخطيط المنزل الشرقي ، أما المنزل العثماني فيتأسس على الساحة كفضاء تتشكل من حوله الغرف في شكل حرف U باللغة اللاتينية » .[3]

و يمكن استنتاج أن تنظيم المسكن الشعبي على أساس مركزية الساحة هو نموذج اختياري و الأكثر جمالية و الأوفر توظيفا بالنسبة للأفراد الذين يدركون جيدا نمط حياتهم و يشعرون بذلك من منظور محسوس ، يؤهلهم للعيش كأسرة مسلمة محافظة على قيمها و مجسدة لمعتقداتها و طقوسها.

1- PH. Antoine et A. Dubresson , op cit , p 143 .
2- XAVIER Thyssen , op cit , p 34 .
3- PH. Antoine et A. Dubresson , op cit , p 143 .

ب- الغرفـــة :

تتواجد الغرف في مقدمة المسكن الشعبي بصورة متقابلة ، أشكالها مربعة و تنفتح أبوابها و نوافذها على الساحة ،جدرانها مبنية من الحجارة بسمك 40 سم في معظم المساكن و في البعض الأخر فهي من لبنات الطوب و بنفس السمك ، كما أنها عناصر هيكلية تتميز بخاصية مقاومة الثقل و المؤثرات الجوية ، و تجسد أيضا مساحات الغرف المتلاصقة تحت السقف الواحد المغطى بطبقة من الطوب و المتميز بوسطه المرتفع و بجانبيه المائلين لتسريع جريان مياه الأمطار . تتحقق تهوية الغرف من خلال الأبواب و النوافذ بفعل تجدد الهواء الناتج من حركة التيارات المستمرة بين الساحة و الدرب بعيدا عن الأجزاء التي تنتج الروائح و الدخان كالمطبخ و المرحاض .

يناسب عدد الغرف احتياجات أفراد العائلة و تعد كل غرفة فضاء خاص يكتسب تسمية حسب الفرد أو الأفراد الدين يعيشون بداخله كغرفة الوالدين –غرفة الأولاد – غرفة البنات و أحيانا غرفة الابن المتزوج إن كان يقيم معهم ، وهذه المفاهيم التي تحدد استعمال مختلف الأجزاء بداخل المسكن ما هي إلا حصيلة أهداف مكتسبة من القيم الدينية و الأخلاقية و المعتقدات لدى أفراد العائلة تتماشى مع تطبيقاتهم الحياتية و المعيشية .

ج- المطبخ :

يعد المطبخ فضاء مشتركا بين جميع أفراد العائلة و تقام فيه عملية إعداد الطعام التي تعتبر ذاتية و سرية ،و إن سبب تواجده في عمق الساحة بعيدا عن الغرف هو إمكانية تصاعد روائح الطهي و الدخان الناتج من استعمال الحطب مباشرة نحو السماء دون انبعاثها ناحية مقدمة المسكن ، من جهة أخرى هناك بالنسبة للمرأة علاقة تواصل بين فضائي المطبخ و الساحة اللذان تقيم فيهما جل واجباتها المنزلية و هذا عكس الرجل الذي يتخذ من الساحة فضاء لتحركاته العادية أو لواجبات تخصه .

تبقى عملية إعداد الطعام بالنسبة للمرأة شاقة نتيجة الظروف المعيشية الصعبة للأفراد لانعدام أو لقلة الوسائل و الأدوات المتاحة في المطبخ حيث كان يعتبر الفرن الذي يتوقد بالبترول في الثلاثينيات من القرن الماضي بالنسبة للعائلة مكسبا و تحقيقا ماديا وخاصة للمرأة التي تتخذه من أهم معداتها المنزلية و الأكثر صونا لينحصر استعمال الحطب المتواجد بداخل الساحة إلا لإعداد الخبز يوميا كونه أساسي في الغذاء .

لا يمثل المطبخ ،ذلك المبنى من الحجارة في معظم المساكن و في بعضها الأخر من الطوب بشكله المربع وسقفه المائل و الذي ينفتح على الساحة من خلال بابه المصنوع من القطع الخشبية الملصقة فيما بينها بالمسامير و تلك الفتحة في احد جوانبه التي تساهم في عملية التهوية و الإضاءة ، فضاء محصورا إنما بتواجد فرنا تقليديا [1] في محيطه يصبح تكملة لفضاء الساحة المفتوح الذي يتيح للمرآة المراقبة و الاطلاع على تحركات أفراد العائلة و تأمين المسكن في غيابهم اليومي و هي جالسة تقشر الخضر

1- الفرن التقليدي : يحرق الحطب في داخل الفرن التقليدي لطهي الخبز بما ينتجه من جمر، و يتواجد في معظم الأحيان قرب المطبخ على شكل مخروطي ارتفاعه 1.20م و قطر قاعدته 1.50م ،مبني من ممزوج الطوب مع الأشواك و يتميز بفوهة دائرية تتواجد في أسفله قطرها 40سم يتم من خلالها إدخال الحطب و العجين و بأربع فوهات جانبية على ارتفاع 80 سم قطرها 10سم و التي تغلق بعد حرق الحطب للحفاظ على الحرارة بداخل الفرن .

و تغسل الأواني أو تنتظر انتهاء الطهي ، و أحيانا يكون هذا الفضاء مكانا يجلس فيه الأفراد خاصة في فصلي الربيع و الصيف لتناول الغذاء .

إن محو جوانب نفسية و اجتماعية في تنظيم فضاء المسكن و لاسيما : « لاعتبارات مادية تجسد مفهوم السكن كملجأ بدلا من وسيلة تتفاعل مع الأساليب المعيشية للسكان ، حيث أظهرت المساكن المنجزة في إطار برنامج القرى الاشتراكية تقلصا لوظيفة المطبخ الذي يتواجد داخل الكتل المبنية ، ما أنتج عند السكان عدم الرضا »[1]، فالفضاء المبني كظاهر اجتماعي و ثقافي يبدي حينئذ إشارة الرضا حين يكون مرتكزا على التقرير و الدقة في تعريف الوظائف و إن في عدم توافقه مع التطبيقات نفورا من طرف المستعملين ، ما يتضح : « في المساكن المنجزة من طرف الشركة التونسية للإسكان (SNIT)، التي شهدت هجران للمطابخ و تحويلها إلى غرف و إنشاء بدلا منها أخرى في الساحة »[2].

و يمكن القول أنه إذا ما توفرت مواد البناء لإعادة انجاز المطبخ سينحصر التغيير في الأبعاد و الشكل ولكن لن يزاح من مكانه الأصلي .

1- DJAFFER Lesbet , op cit , p 174 .
2- XAVIER Thyssen , op cit , p 74 .

د- الأبواب و النوافذ :

الباب هو الفاصل و المتصل في آن واحد بين مكانين متشابهين أو مختلفين و همزة وصل و اتصال بينهما من خلال عملية الدخول و الخروج ، إذ كل مكان هو في حد ذاته فضاء تميزه خصوصيات حسب وظيفته .

و يحمل الباب أيضا معنى رمزي أكثر منه تعبيري : « فهو الحد في نفس الوقت بين ما هو مسموح و ما هو ممنوع ، بين القوة و الضعف ، بين الخير و الشر، فهو المنفذ الفضائي[1] » الذي يسمح بتدارك المكان و معرفة خصوصياته ، إذ يتمثل في واجهتين : الأولى و هي الأمامية الظاهرة للإنسان في الفضاء الذي يكون فيه ، أما الثانية فهي الخلفية المتواجدة في فضاء آخر غير مرئي و الذي يمكن تصوره حسب رمزية الباب و ثقافة الأفراد على أساس مفاهيم مختلفة منها المقدس و المدنس مثلا .

لعبت البوابات دورا هاما في تخطيط المدن و الحفاظ على أمنها: « و ظل أثرها في تخطيط الامتدادات العمرانية واضحا عندما يتم الربط بين التوسع الجديد و المدينة القديمة التي تأثر تخطيطها و توجيه شوارعها و مقاييسها تأثرا مباشرا بتخطيط الأسوار و القلاع و البوابات، و بصفة عامة استعلمت البوابات عند مداخل المدن الرومانية و الإغريقية و الإسلامية بهدف أمني للسيطرة و التحكم في حركة المرور »[2].

1-MOUSSAOUI Abdelrahmane , op cit , p 45 .

[2] - محمد عبد الستار عثمان ، مرجع لسابق ، ص 154 .

أما من الجانب المعماري فللباب مفهوم خاص ، فسكان **القنادسة** يطلقون على أبواب مساكنهم لفظ (فم) و هو معنى رمزي باعتبار أن من خلال فتحة الفم يتم تموين الجسم و من ذاتها يدخل المرض [1].

وكما أن أبواب مداخل المساكن الشعبية بوادي برقش هي في صورة متناكبة و تظهر كمنافذ لها حيث يمثل كل واحد منها شخصية عائلة ما بأمنها وحرمتها : فضاء خاص لا يجب كشف خصوصيته ، وهذا المفهوم بطبيعة الحال هو ناتج ثقافي عند الأفراد يحول دون جلوسهم واستقرارهم عند عتبات الأبواب و خاصة في الدروب التي هي مسالك لتنقلاتهم المتميزة بالخفة و السرعة ، و هذا الكل نتيجة لما يتصور لهم من تواجد لفضاء خيالي و غير مادي في حدود كل باب مدخل و عتبته (أي المسكن) وما يمثله من رمزية خاصة حسب تلك المفاهيم الثقافية التي تظهر من خلال التطبيقات التي تعكس خصوصياتها وقت تفصيل الفضاء ، و منها لفظ "**حرم**" الذي معناه مكان إقامة العائلة في المسكن العربي و كلمة " **الدار** " في اللغة العامية للدلالة على الزوجة [2] ، و قد تجلى اعتبار الدرب في صورة خيالية أكثر بعدا فكونه فضاء واحد على امتداد ما ترمز إليه جدران المساكن المتلاصقة من ميزة الأنثوية عبر عتبات أبوابها يكتسب بالتالي عند الأفراد فهما لهذه الميزة التي تجبرهم على جعل الأبواب متناكبة بدلا منها متقابلة و ذلك لتفادي إلحاق الضرر بالجار و من أهم تطبيقاتهم وقوف الطارق على الباب في حدود عتبته بحيث يكون أيضا أبعد ما يمكن عن عتبات الأبواب المجاورة .

1- MOUSSAOUI Abdelrahmane , op cit , p 45 .
2- BRAHIM Benyoucef , op cit , p 10 .

«و لعب المحتسب القائم على شؤون الارتفاق بالشارع في المدن الإسلامية تحت وصايا القضاة ،بمنع الرجال من الجلوس في درب أو حانوت أو غيره، بل في قارعة الطريق،وكذلك منعت النساء من الجلوس على أبواب بيوتهن في طرقات الرجال[1] » .

أما بالنسبة لأفراد العائلة فرمزية باب مدخل ، المتواجد في الجدار الأمامي للمسكن و المرتفع بثلاثة أمتار، تجسد أمنهم و طمأنينتهم حمايتهم باعتباره الفتحة الوحيدة المتصلة مع الفضاء الخارجي ، كما هناك لكل باب داخلي رمزية الخاصة وذلك نتيجة ما تكتسبه كل غرفة من خصوصيات من خلال مستعمليها فتصبح بالتالي فضاء خاصا يعلمه أفراد العائلة : إذ يستدعي تنقل احدهم عند الحاجة من فضائه الخاص إلى فضاء آخر استعمال بعض الإشارات المتداولة بينهم مثل المناداة أولا ثم طرق الباب و لا سميا باب غرفة الوالدين الذي يرمز إلى ربوبية العائلة و الاحترام و الطاعة لدى الأسرة الجزائرية حيث الأب هو صاحب قرارات النظام و السلطة على جميع أفراد العائلة بما فيهم من المتزوجين .

تصنع الأبواب والنوافذ محليا من طرف الأفراد باستعمال الأدوات البسيطة كالمطرقة والمنشار و المسامير لإلصاق القطع الخشبية فطول باب المدخل عموما 2.00م و عرضه 1.20م أما طول كل باب من أبواب الغرف فهو 2.00م وبعرض 1.00م .

تنفتح كل غرفة بنافذتها على الساحة و هي ملاصقة للباب مربعة الشكل و طول ضلعها لا يتجاوز 1.00م وظيفتها التهوية و الإضاءة .

[1] - محمد عبد الستار عثمان ، مرجع لسابق ، ص 596 .

ليست الأبواب والنوافذ تحفا فنية كونها مصنوعة من القطع الخشبية إلا أن وظائفها كستائر تجعل رمزيتها أكثر قيمة منها مادية ،و نستخلص أن انفتاح أبواب الأجزاء المختلفة في المسكن على فضاء واحد مشترك هو صورة للفن المعماري الذي انعكس على جميع المساكن الشعبية بوادي برقش و الذي تحقق من خلاله انسجاما كليا لتطبيقات الأفراد مع نمط حياتهم المعيشية و نشوء علاقات أسرية أساسها الرحمة و التآلف و الاحترام.

الفصل الثالث

الفصل الثالث : أساليب و مواد البناء

1 – الفن المعماري

ا – التنظيم

ب – لحظة القرار

ج – مراحل انجاز المسكن

ج1 – القسم الأول

ج2– القسم الثاني

2 – طرق و أساليب البناء

أ – بناء الجدران

أ 1– بناء الجدران من الحجارة

أ 2– بناء الجدران من الطوب

ب– المرحاض

ج– الأسقف

د– تلبيس الجدران

هـ– أرضية الغرف و الساحة

1- الفن المعماري :

يتحدد مفهوم " الفن المعماري " لتلك المساكن الشعبية المنجزة بوادي برقش حسب ثقافة الأفراد كونه إطار حياتهم اليومية الذي يناسب احتياجاتهم و رغباتهم ، و ليس بالضرورة إنتاج للاختصاصي . فالفن المعماري يتطور باستمرار مثله مثل العادة التي هي الوسيلة ، فيخضع له الإنسان نتيجة التقليد مبدعا في أنشاء مسكنا هو بمثابة الإطار العام لمجموعة من عاداته في التفكير و التطبيق و أحيانا يكون بعضها غير مقصود و غير مفهوم و واع ، تجعله يعيش بداخله و ينظر إليه كناتج ثقافي ضمن مساحة واسعة من الحرية في التفاصيل متخذا فضائه كمشروع تتبلور فيه أفكار عن الأشكال و الرموز و التصورات المسايرة كلها للعادات الاجتماعية .

و نعني بثقافة فنية معمارية تلك التي تتبلور و تتجسد فيها مفاهيم علمية تكون قد اتخذت بعين الاعتبار و بإلحاح النمط الحياتي للإنسان في المسكن المبني و في فضائه الذي يعتبر بالنسبة لعلم النفس و علم النفس الاجتماعي مكانا متواجدا تسعى الجماعة لتغييره قصد توفير أكثر حماية ممكنة لها من العالم الخارجي و التوصل حينئذ للإضافة فيه عناصر وقائية و أمنية يظهر على أساسها التقليد كبعد تاريخي: « يبرز من خلال مضمون العلاقات المتواجدة سلوكيات الأفراد ضمن الفضاء المحدود [1] »، حيث في نفس المضمون يقول **قزافي تايسن** : « إن أعمال **أكاديمي سشميد و ذولوبا و فارين** المتخصصة في السكن: هي أمثلة تتخذ مستوى من التخفيض بحيث يظهر أحيانا إلغاء للبعد الاجتماعي و ينحصر في خاصيته الناتج المادي المتواجد في الفضاء المقرب و المحدد هندسيا الذي يبرز رغبة الجماعة في توفير الحماية أمام العالم الخارجي»[2].

1- XAVIER Thyssen , op cit , p 33 .
2- Ibid , p 33 .

ظلت عملية بناء المسكن من غايات الإنسان عبر الحقب الزمنية المتلاحقة ما جعل :« دوما الفن المعماري من أحد الاحتياجات المستعجلة [1] » الذي من خلاله :« تتجسد التطبيقات و الرمزية الاجتماعية و التنظيم العائلي و الأدوار في الناتج المادي [2]» ، و يتطلب فيما بعد تطبيق لتقنيات المواد و أساليب بنائها.

فالمسكن الذي هو موفر لمحيطنا الإنساني نحن البشر حماية من العوامل الطبيعية المضرة [3] ، يفرض علينا بالتالي معرفة المواد التي تسمح ببنائه حسب كل ضغوطات فيزيائية :« حيث أن علوم المادة هي التي تسمح بتصور المسكن على أساس أن التقنيات لا تكفي لشرح نوعية البناء [4] » ، و ينطبق هذا المفهوم على المساكن الشعبية المنجزة في وادي برقش من مادتي الطوب و الحجارة و دلك حسب ثقافة الأفراد و معرفتهم لهاتين المادتين ، :« فإن مساكن البشر توظف إعجابا مزدوجا عند عالم الإناسة، فمن حيث أنها تساهم أكثر عموما في إعطاء المناظر خصوصياتها المميزة، فهي كذلك معان مجسمة للاحتكاك المعقد بين المواهب الثقافية و المقاييس، و بين الظروف و القدرات الإنشائية للمواد الطبيعية[5]».

1-Lecorbusier , op cit, p 05 .

2-N. R Haumond et H . Raymond (Habitat et pratique de l'espace ; étude des relations entre interieur et extérieur du logement) introduction , Institut de Sociologie Urbaine Ministère l'Equipement et du Logement Paris , 1973 , p 01 .

3- Ibid , p 01 .

4- P. donnadieu et J.M. Didillion , op cit, p 111.

5- PAUL Pandolfi , op cit, p 8 .

أ- التنظيم :

تعكس المساكن الشعبية في فضائها المحصور طابعا أمنيا للأفراد أمام العالم الخارجي ويظهر ذلك البعد التاريخي للتقليد من خلال فنها المعماري المتميز بالتنظيم و التطبيق ، المجسد للعادات الاجتماعية و الأشكال و الرموز .

فالبناء هو عملية لإنتاج مسكن ذو وظيفة تسمح بتقديم منطق الإنسان بعاداته و تصوراته المختلفة : (الأحاسيس- الأفكار- الخواطر – المشاعر) حتى تجد فضاء مؤهلا لتنفيذها و ظهورها يكون بمثابة اللغة معبرة عن فن معماري من منظور الظاهر و المحسوس ، فكما يقول **حسن فتحي** : « البناء هو نشاط إبداعي ، الذي فيه لحظة قرار حاسم لتطورات الإبداع و لحظة للتشكيل في اللحظة التي تأخذ فيها الفكرة شكلا حيث تكون مجموعة الأشكال المبدعة ثابتة بدقة [1] ».

ب – لحظة القرار :

تنتج عند الفرد من خلال تصوراته و أطروحاته قبل البدء في بناء مسكنه لحظة قرار تتمثل في كيفية إنجازه كونه الثمرة التي يجب أن تتحقق فيها مرجعيته الثقافية المرتكزة على رمزية اجتماعية تنسجم مع كل من تنظيمه العائلي و دور كل فرد و نمط الاستعمال .

إنما اختيار مكان المسكن فهو من تدبير الجماعة باعتبارها تشرف على تنظيم فضاء السكن الشعبي و هي في هذه الحالة مهيمنة على الفرد ، ما جعل قراراتها نافذة تستوجب على الفرد إتباعها و احترامها كونها تضم الوجهاء و الكبار و بعض البناءون

1-HASSAN Fathi , op cit, p 55 .

و قد أسهمت بالفعل في ظهور حي سكني بحاراته و دروبه و مساكنه كان بالتالي ناتجا ثقافيا إبداعيا و جماعيا .

يقتصر دور الجماعة حسب ثقافتها العالمة على تنظيم السكن و البناء بحيث تكون الواجهات الأساسية خاضعة لفن معماري مميزا منه كيفية تلاصق المساكن فيما بينها و عدم تقابل أبواب مداخلها و احترام خصوصيات الدرب ، إذ تستدعي هذه التوجيهات التي هي قوانين تعميرية كل فرد لوقفة قرار عند كل مرحلة من مراحل إنجاز مسكنه .

ج- مراحل إنجاز المسكن :

يمكن حصر خطوات بناء المسكن في مرحلتين : الأولى تشمل فضاء السكن و تتضمن تطبيق مجموعة من القوانين تخص التعمير ، أما الثانية فتضم تفصيل الفضاء الداخلي للمسكن الذي هو من صلاحيات أفراد العائلة.

ج 1-المرحلة الأولى :

تعد الموافقة المبدئية للجماعة أساسية ليختار الفرد مكانا لبناء مسكنه و ذلك لحرصها على تطبيق مقترحاتها التي تشمل عموما التقارب الأسري و الالتفاف العائلي من جهة و بعض الجوانب المعمارية أهمها تلاصق وتلاحم المساكن بصورة طبيعية من جهة أخرى ،و نذكر في هدا السياق ما يلي :

1- تستوجب كل عملية بناء لمسكن جديد رضا الجيران و ترحيبهم بصاحبه الذي يكتسب عندئذ مودتهم و مساعدتهم له في انجاز مسكنه و يوفرون له الاستقرار و الإحساس بالأمن و الحماية في وسطهم .

2- تعكس ارتفاعات الجدران الفاصلة بين ساحات المساكن طبيعة العلاقات المتواجدة بين الجيران و إدراك لأخلاقيات الأفراد ، إذ لا يتعدى ارتفاع بعضها 1.50 م و ذلك باعتبار أن وظيفة الجدران هي الفصل المادي بين الساحات .

3- يتخذ الفرد كل التدابير اللازمة من اجل إبعاد باب مدخل مسكنه عن باب المدخل للذي يقابله ، فجدار الواجهة الأمامية للمسكن هو رمز لشخصية العائلة كونه الفاصل بين حرمة فضائه الداخلي و الفضاء الخارجي المتمثل في الدرب أو الشارع.

تتراوح مساحات المساكن الشعبية ما بين 100م^2 إلى 130 م^2 وهي بصورة عامة مستطيلة الشكل ، و قد تنتج في معظم الأحيان عوائق فيزيائية نتيجة طبيعة الموقع المتميز بالانحدار الذي يفرض فقط تغيير اتجاه المسكن و شكل مساحته ، و هذا الأمر لا يدفع الفرد اختيار اتجاه الشرق لغاية تفيد تهوية الغرف من خلال أشعة الشمس فلساحته التي ينتظم حولها جميع أجزاء مسكنه دورا في التهوية و الإضاءة ، إلا أن يكون الاهتمام على أساس ديني و هو الاتجاه نحو القبلة (بيت الله الحرام) بمكة المكرمة .

ج2- المرحلة الثانية :

تعتبر خطوات المرحلة الثانية أقل تعقيدا من خطوات الأولى كونها لا تخضع بصورة مباشرة لقرارات الجماعة التي ينحصر حينئذ دورها في مشاركة الفرد لتنظيم الفضاء الداخلي لمسكنه بمقترحات و أراء هي عبارة عن معلومات ثقافية تشمل معارف تقنية تخص أساليب البناء بالحجارة و بالطوب ، إذ على إثرها تواجد تشابه كلي للمساكن الشعبية من حيث تنظيم وحداتها السكنية و طريقة انجازها .

1- **الغرف** :تواجدها دائما على الجابين في مقدمة المسكن ، أبوابها في صورة متقابلة . يحدد عدد الغرف حسب احتياجات أفراد العائلة: غرفة الوالدين و غرفة للأولاد و غرفة للبنات، كما تعين غرفة للولد المتزوج و الماكث مع أهله، و في نفس الوقت تحدد أمكنة للتوسع و حين تتوفر الإمكانيات المادية تبنى غرفة إضافية للضيوف.

2 – المطبخ : يعين أفراد العائلة مكان المطبخ إما ملاصقا للغرف أو في عمق الساحة لاعتبارين ; الأول كون المطبخ فضاء أنثوي تستعمله المرأة لأداء واجباتها المنزلية فينبغي أن يتواجد بعيدا عن مقدمة المسكن أما الثاني فلكي لا تصل إلى الغرف الروائح الناتجة من طهي الطعام و الدخان المنبعث نتيجة استعمال الحطب .

3– **المرحاض**: يعتبر الأفراد مقدمة المسكن مكانا طاهرا ، فمن هنا يتواجد المرحاض دائما في عمق الساحة بعيدا عن الغرف و المطبخ و غير مرئي من خلال باب المدخل ، و حين لا يسمح ضيق الساحة أو شكلها بذلك تصبح هناك ضرورة لتغيير اتجاه بابه شريطة أن لا تكون هذه الأخيرة ناحية الشرق (**القبلة**) .

4– **أماكن الحيوانات الدجنة** : يمكن القول بصورة عامة أنه يتواجد بجانب المطبخ الذي هو فضاء خاص بالمرأة مكانا لتربية بعض الحيوانات الدجنة (المواشي ، الدجاج ،.... الخ) كون أن هذه الأخيرة تعتبرها أيضا من اهتماماتها فتسعى لتفيد عائلتها اقتصاديا .

إن كل التصورات الفكرية للجماعة و الأفراد تمثل قدرة تنظيمية لتطبيق مفاهيم ذات صلة بالتعمير و بالفن المعماري يهدف من ورائها تحديد و تقنين الشكل الخارجي للمسكن ما يعرف بالظاهر عند الجماعة ، و إبراز لتنظيمه الداخلي ما يعرف بالمحسوس عند أفراد العائلة و هو بمثابة الفضاء الذي تتحقق من خلاله تطبيقاتهم الحياتية .

2- طرق و أساليب البناء :

تمثل الجدران المبنية من الطوب و من الحجارة في المسكن الشعبي عناصره الهيكلية و تجسد في نفس الوقت تفصيل وحدته السكنية، أساساتها حجرية على شكل أسرية مغروسة في الأرض بعمق 60 سم و عرضها 50 سم تسمح بتثبيت الجدران فوقها و منعها من الحركة و بتحمل قوى ثقلها و ثقل السقف معا .

أ- أنواع و وظائف الجدران:

لا يقتصر فقط تصور أشكال الجدران و أبعادها عند الأفراد وفق وظائفها الفيزيائية كونها عناصر إنشائية مقاومة مع مرور الزمن جل العوامل الطبيعية إنما أيضا على أساس ما تجسده ماديا ضمن التفصيل الداخلي لفضاء المسكن بمختلف أجزائه ، و من هنا يمكن تصنيفها إلى ثلاثة أنواع .

1- **الجدار الأمامي للمسكن** :

يهتم الأفراد في جعل الجدار الأمامي للمسكن أكثر ارتفاعا ممكنا تماشيا مع أهميته و دوره ، إذ يعد معلما رئيسا باعتباره العنصر المادي الذي يجسد في آن واحد شخصية العائلة و أمن المسكن من المضار كونه الفاصل بين الفضاء الداخلي للمسكن و خارجه المتمثل في الشارع ، حيث تعتبر فتحة باب المدخل الفتحة الوحيدة في الجدار . يتراوح ارتفاع الجدران الحجرية إلى ما بين 3.20 م و 3.60 م أما المبنية من الطوب فهي من 2.70 م إلى 3.00 م .

2- الجدران الجانبية و الداخلية :

تعد الجدران الجابية و الداخلية من ضمن العناصر الإنشائية للمسكن فهي مثبتة فوق أساسات من الحجارة و تكتسب بفعل تقاطعاتها المتعامدة قوة مقاومة للقوى الطبيعية المؤثرة كما أنها تتحمل ثقل السقف ، حيث يدخل تجسيدها المادي في التنظيم الداخلي مبرزا مختلف أجزاء المسكن . تتميز الجدران الجانبية بارتفاع محدود باعتبارها أيضا تفصل ما بين المساكن المجاورة التي لا تمثل هاجسا امنيا للأفراد فالجيران هم بالدرجة الأولى حماة لهم من كل مضار ممكنة ، أما الداخلية فهي بارتفاع مماثل و تعتبر فواصل مادية محددة لمساحات الغرف. يتراوح ارتفاع الجدران الحجرية إلى ما بين 2.60 م و 2.80 م أما المبنية من الطوب فهي من 2.40 م إلى 2.60 م

3- **جدران المطبخ و الساحة :**

يتميز المطبخ عموما بشكله المربع الذي لا يتعدى ضلعه 2.50 م و ارتفاعه 2.20 م ، جدرانه عناصر أساسية و هيكلية مقاومة لقوى الطبيعة المؤثرة، أساساتها من الحجارة ولكن بعمق لا يتجاوز 30 سم كونها لا تتحمل سوى ثقل سقفها ، معظمها مبنية من الحجارة و نجدها في بعض المساكن من الطوب .

أما جدران الساحة فهي الفواصل المادية بين مختلف ساحات المساكن المتجاورة و المتلاصقة ، ارتفاعاتها المتوسطة و التي لا تتعدى 1.70 م ما يبين أن دورها ليس امني و وقائي بقدر ما هو تجسيد مادي للساحات فهي غير متواجدة أساسا بين ساحات مساكن الأفراد من عائلة واحدة .

أ1 – بناء الجدران من الحجارة :

استعمل الإنسان منذ القدم الحجارة في بناء مسكنه و قد يعود السبب الرئيس في كونه تعلم نمطية خاصة لاستعمالها وفق تقنيات مميزة نتيجة تواجدها في محيطه.

«ونحن نعلم من الأخبار المدونة أن أول قصر بني في الإسلام هو" قصر معاوية الخضراء " في جنوبي الجامع الكبير سنة 665م ، الذي أقامه من الطين أولا ثم نقضه و أقامه من الحجارة[1]» ، حيث لا يرجع سبب إعادة بنائه من الحجارة إلى تغيير في مادته الإنشائية بل إلى تغيير كلي لتفاصيله و استعمال ما يتواجد من مواد طبيعية في المحيط ، كما يشير **محمد عبد الستار** : أقيمت المساكن و القصور في دمشق من الحجر و من الآجر المنضب بين مداميك البناء بالخشب الملبن . شرح **تومان** طريقة البناء في دمشق شرحا وافيا و هي في مجملها طريقة لدعم اللبن بأعمدة خشبية أشبه بالإطار ثم تكسى هذه الجدران بالطين و الكلس أو تبنى الجدران بالطين الدّك أو بالآجر و يدخل الحجر كمادة إنشائية ضرورية لإقامة المداميك الأولى للجدران و لتغطية بعض الواجهات و لإقامة إطارات الأبواب و النوافذ الداخلية و الخارجية .[2]

أظهرت التقنيات المختلفة إمكانية إنشاء الأسقف و القباب في العمائر باستعمال مواد بناء كالحجارة و الطوب و الخشب و التي أظهرت خصوصياتها و مقاومتها نتائج سمحت بالحصول على اكبر مساحة مغطاة دون الحاجة إلى عدد كبير من الدعائم ، إلا أن استعمال مواد متعددة في البناء : تكون نتيجته لا تقل عن توازن بين – هيكلية ثقيلة – جدران سميكة و سقف مثقل بالطوب لمقاومة العوامل الجوية و – ارتكاز كافي لمقاومة الزمن – .[3]

---

[1] - عفيف بهنسي ، مرجع سابق ، ص 80 .

[2] - نفسه ، ص 57 .

3- P .donnadieu et J.M. Didillion , op cit , p 110 .

هذا يعني أن المادة لا تبين و تحدد شكل المسكن إنما تسمح فقط باستخدام هذه أو تلك التقنية ، إذ يبقى اختيارها من صلاحيات الفرد و ذلك حسب تصوره مثلما يتضح في هذه لحالة : « يجب القول بأن الحجارة هي أول مادة قد تم استعمالها في لكسور كما تشهد أوائل المساكن و القصبات القديمة ، إلا أن من جراء نذرتها كان التسارع نحو استعمال لبنة الطوب ». [1] فتواجد الحجارة بكميات وفيرة في إقليم وادي برقش دفع الأفراد لنقلها و استعمالها في بناء مساكنهم .

ا –بناء الجدار الأمامي :

أهم خطوة أولية بعد انجاز قواعد مختلف جدران المسكن هي تحديد معالم الجدار الأمامي و نقاط تقاطعاته مع الجدران الجابية و الداخلية و مكان باب المدخل حيث يستعمل البنّاء في ذلك خيوطا مرنة تثبت على الأوتاد لتجعله يحافظ باستمرار على سمك الجدار 40 سم و يدرك استقامته عموديا و أفقيا .

يتم إعداد خليط من الطوب ألمدك و التبن المفصص إلى قطع صغيرة جدا ثم مزجه بنسبة معينة من الماء ليصبح عبارة عن عجينة جزيئاتها متماسكة يسهل استخدامها في بناء مختلف الجدران لسد الفراغات و تثبيت الحجارة التي يتم فرزها مسبقا وذلك أن يكون للحجرة جانب أكثر تسطيحا و حجم متوسط .

إن الانجاز بالحجارة يتطلب من البنّاء مهارة و تطبيقات تقنية تناسب الخصوصيات الأساسية لهذه المادة التي تتميز بالصلابة و بقوة تحمل الثقل فحين تكون مثبتة بصورة محكمة فوق بعضها البعض فإنها تحقق توازنا كليا للجدار حيث أن كثرة

1-MOUSSAOUI Abdelrahmane , op cit , p 14 .

الفراغات فيه تفقد الحجارة توازنها و بالتالي ينتج عن ذلك اهتزازات مستمرة تؤدي إلى نشوء انفصال للحجارة في أجزاء من الجدار فتكون عرضة لنفد مياه الأمطار إلى داخل الغرف .كما لتقاطعات الجدران أهمية فيزيائية تسمح بتثبيت هذه الأخيرة من خلال تعامدها و ارتكازها على بعضها البعض و جعلها ملتحمة ككتلة مادية واحدة مثقلة و متزنة غلى الأرض تمكنها من تحمل مختلف القوى المؤثرة و لاسيما قوة الرياح ، فعند كل نقطة تقاطع جدارين يجب أثناء عملية البناء و ابتداء من القاعدة ترك فراغا بشكل طولي عمقه يصل إلى منتصف سمك الجدار و بعرض 40 سم يسمح لاحق بإدخال حجارة الجدار الجديد لتثبيته مع العمودي له .

ب- الجدران الجانبية و الداخلية :

تبنى الجدران الجانبية التي تفصل بين المساكن المجاورة بشكل متعامد مع الجدار الأمامي و تثبت فيه من خلال نقاط التقاطع المحددة مسبقا و التي تمثل الفراغات العمودية حيث يحرص البنّاء على جعل عدد كبير من الحجارة المتوسطة الحجم مشتركة و متداخلة فيما بين الجدارين لتكون أكثر ثباتا .تنجز بعد ذلك كل الجدران الداخلية المكونة لمختلف الغرف المربعة الشكل عموما و طول ضلع كل منها 4 م ،وتنفتح كل واحدة على الساحة من خلال باب و نافذة تسمح بالإضاءة و التهوية .

يتساوى ارتفاع الجدران الجانبية و المقابلة لها إنما كل الجدران المتعامد مع هذه الأخيرة تزيد ارتفاعاتها في الوسط بحوالي 40سم لتشكل جوانب مائلة و متساوية تكون بمثابة ركائز السقف .

ج- جدران المطبخ و الساحة :

يمثل إنجاز جدران المطبخ عملية قليلة التعقيد بالنسبة للبنّاء كونها لا تحتاج إلى تدابير أولية كوضع المعالم و استعمال الخيوط المرنة و تحديد نقاط التقاطع و ذلك لصغر أبعادها ، حيث يتم إقامة هذه الأخيرة مباشرة من الحفر بسمك 30 سم دون الحاجة إلى أساسات قوية باعتبارها لا تتحمل سوى ثقل سقف صغير . المطبخ مربع الشكل منفتح على الساحة من خلال الباب و في أحد جوانبه نافذة صغيرة بهدف التهوية.

أما جدران الساحة فليست هيكلية و هي لا تتحمل سوى ثقل وزنها، سمكها 30 سم و ارتفاعها محدود ،تبنى مباشرة بعد حفر الأسرية بعمق 30 سم .

مثل هذه الجدران لا يستدعي انجازها فرز خاص للحجارة المتوسطة الحجم إنما يستعمل في ذلك كل ما يتوفر في المكان.

أ2- بناء الجدران من الطوب :

أستعمل الطوب منذ القدم كمادة إنشائية رئيسة في بناء مساكن البشر كما وظفت في بعض الحالات لتغطية الأسقف و تلبيس مختلف الجدران.

و يجيب **حسن فتحي** عن سؤال يتضمن كيفية إعادة بناء 4000 قرية في مصر بدون مقابل مادي قائلا :« إن الإجابة متواجدة في صورة غرفة لمسكن ريفي تعود للعصر **النوبي** ، فهذا المسكن و المئات من أمثاله المتواجدة في القرى المحيطة **بأصوان** بنيت دون صرف قرشا ، و أنها لا تحوي علي أي مادة خرسا نية أو حديدية و لا

مادة من المواد المتواجدة في المكان ، يجعلنا هذا نتساءل عن ما يمكن أن تضيفه تجربة **قورنة** إذا كانت هذه الصورة أكثر تعبيرا حيث أن **النوبيين** قد أنجزوا مساكنهم من الطوب منذ 6000 سنة »[1] ، و لا يرجع سبب استعمالها في مناطق عدة تختلف جغرافيا كونها متوفرة فيها إنما أيضا لما تتميز به من خصوصيات فيزيائية لمقاومة المؤثرات الجوية كالأمطار و الرياح و حرارة الشمس ، و نذكر أن أول مسجد في الإسلام (مسجد رسول الله (ص) في المدينة المنورة) قد بني من الطوب ، و أن معظم المساكن في نيجيريا مبنية من ممزوج الطوب مع التبن [2]، كما تعتبر مادة الطوب كذلك في دول الساحل الإفريقي الأكثر اختيارا و التي تستعمل أحيانا مجففة بأشعة الشمس في صورتها الأصلية و في بعض المرات تمزج مع التبن لتشكيلها في صورة لبنات [3] و مثل هده اللبنات قد استعملت في بناء عدد كبير من المساكن الشعبية في وادي برقش .

المرحلة التمهيدية :

تستدعي المرحلة التمهيدية استخراج مادة الطوب من ضفاف الوادي و نقلها إلى موقع البناء ودلك بكميات كبيرة تكون كافية لإنشاء اللبنات و لإعداد الممزوج الذي يستعمل في البناء و أيضا لتلبيس الجدران ، و تصبح مشاركة الأفراد في مثل هده الخطوة ضرورية . تمثل الأيام الممطرة عائقا لهذه النشاطات و ذلك لصعوبة الحركة و التنقل و استخراج الطوب، إذ يفضل الأشخاص فصلي الربيع و الصيف نظرا للدور الذي تلعبه حرارة الطقس في تجفيف المادة و تسهيل تشكيلها .

1- HASSAN Fathi , op cit , p 208 .
2- Ibid , p 77 .
3- voir notes XAVIER Thyssen , op cit , p 11.

تشكل لبنة الطوب في إطار من الخشب قاعدته مستطيلة بطول 40سم و بعرض 18 سم و ارتفاعه 20 سم و قد يهيأ عددا مناسبا منها للإسراع في هده العملية حيث أن مترا مربعا واحدا يلزمه 26 وحدة . يمزج الطوب ألمدك مع نسبة معينة من مادتي التبن المقطع و الأشواك اللتان تساهمان في جعل مادة الممزوج متماسكة بعد إضافة كمية مناسبة من الماء و الخلط فتنشأ جزيئات صلبة و ملتحمة فيما بينها

تسمح بوضعها و دكها في داخل القالب مع استخدام ضربات خفيفة بواسطة قطعة خشبية لإخراج فقاعات الهواء من داخلها و سد كل الفراغات و تسويتها بشكل مسطح ، إذ بعد عشر دقائق يمكن نزع الإطار الخشبي لتجف اللبنة في مكانها بفعل أشعة الشمس .

ا- جدران الغرف :

لا تسمح تقنية البناء بلبنات الطوب إنجاز جدار واحد مثلما توفره طريقة البناء بالحجارة ، و السبب في ذلك يعود إلى حتمية تداخل طبقات الطوب فيما بينها عند كل نقطة تقاطع لجدارين متعامدين بصورة متعاقبة و متوالية ابتداء من القاعدة حتى الأعلى ، حيث لهذه الخصوصية دورا فيزيائيا يساهم في خلق تلاحم كلي للمادة الإنشائية و تثبيت عناصرها على الأساسات الحجرية التي تكون جميعها مستوية أفقيا بالشكل الذي يسهل على البنّاء الحفاظ على أفقية جميع صفوف اللبنات المتوالية فوق بعضها البعض عند انجازه لجدارين في أن واحد ، حيث تحدد نقاط تقاطع جدران الغرف المتلاصقة و فتحات أبوابها فوق الأساسات و يستعمل في ذلك خيوط مرنة تفيد في استدراك استقامة الجدران عموديا و أفقيا كلما زاد الارتفاع .

إن الجدران المبنية من لبنات الطوب بسمك 40 سم منشئة من جدارين متوازيين عرض كل واحد منهما 18 سم بينهما فراغ 4 سم ،فأبعاد اللبنة الواحدة التي هي بطول 40 سم و بعرض 18 سم و بارتفاع 20 سم) هي على أساس تطبيق تقنية جزئية في كل الطبقات المتوالية و ذلك بتثبيت على كل حائط بصورة متناظرة لبنة –طوليا– توضع فوق الحائطين ثالثة –عرضا– تلاقيهما و بهذا الشكل يكتسبان توازنا و تلاحما لمقاومة قوى الثقل و المؤثرات الجوية .

ب- **جدران المطبخ و الساحات** :

تشابه المطابخ المنجزة من الطوب من حيث الشكل و الأبعاد تلك المبنية من الحجارة ، فهي تقام من حائط واحد فقط عرضه 18 سم فوق أساسات من الحجر وتستدعي مرحلة تمهيدية ضرورية هي تعيين المعالم و تسوية الأساسات أفقيا ، حيث تثبت الجدران من خلال تداخل اللبنات فيما بينها بصورة متعاقبة و متوالية عند الأركان. أما جدران الساحة المتميزة بارتفاعاتها المحدودة فلا يشكل انجازها اهتماما كبيرا باعتبارها لا تتحمل سوى ثقل وزنها ،حيث تبنى مباشرة بعد تهيئة الأسرية دون الحاجة أساسات من الحجارة .

ب– المرحاض :

هو مرفق مستطيل الشكل طوله 2.00 م و عرضه 1.50 م ، جدرانه من الحجارة في كل المساكن الشعبية سواء المبنية من الحجارة أو من الطوب و لا يزيد ارتفاعها عن 2.00 م . و لعدم وجود قنوات صرف المياه القذرة تنجز بداخل المرحاض حفرة مكعبة الشكل طول ضلعها 1.50 م ،جدران جوانبها مبنية من الحجارة بسمك 20 سم

حيث لا تسد فراغاتها بالطوب و تترك دون تلبيس ما يمكنها من لعب دور مصفاة للفضلات و تسريب المياه القذرة إلى عمق الأرض بصورة اقل تركيزا مما تكون عليه .تغطى هده الحفرة أولا بمجموعه من الأغصان القوية المرتكزة على الجوانب حيث تترك ثقبه دائرية بقطر 25 سم ومن ثم تغطى بطبقة من الطوب الممزوج مع التبن و الشوك سمكها 15 سم .

ج – الأسقف :

استعمل الإنسان الخشب كمادة رئيسية و هيكلية منذ القدم في بناء مسكنه أو في بعض عناصره كدعائم للأسقف ، : « فإن الآريين المتمركزين في أراضي جبلية كثيرة الغابات و التي تمتد من أعلى الهندوس حتى *براشما بوترا* و تتعمق شمالا في اتجاه أعالي التيبت حتى الحدود الغربية لجبال آلتاي ، استعملوا أخشاب هذه الغابات و بوفرة لتشييد مساكنهم »[1]، و ذلك ليس اختيارا و إنما لتواجدها في المحيط ما لا يكلف الإنسان شقاء جلبها من أماكن بعيدة ، كما من جهة أخرى قد يكون سبب اختيار مادة معينة تتواجد في المحيط هو نتيجة الثقافة العالمة عند الأفراد التي تتضمن تقنيات استخدامها في البناء ، و لكن : « إذا ما وجد بشر ، و قد ولدوا في إقليم كثير الخشب و اتخذوا من عاداتهم البناء بهذه المادة ، ثم تحولوا إلى مكان آخر يخلو منها ، فيصبحون منزعجين و يلزمهم حينئذ مساكنا ، إذن و هم يستعملون المواد الجديدة المتوفرة يكون لديهم تنظيما يحتفظون به ، يتمثل في أشكال و مظاهر مساكنهم الخشبية[2] ».

1- VIOLET Le duc, (histoire de l 'habitation humaine) , Edition Piere Margada , Paris, 1986, p359.
2- Ibid , p 359 .

يستعمل المهندسون المعماريون خاصة في اليابان المواد الطبيعية من أصل نباتي لانجاز مساكنهم و كذلك الجبس و الحجارة و القرميد ، و ذلك ليس بكل بساطة أنها حامل لغطاء يميزهم و إنما بهدف الاستفادة مما يتوفر في محيطهم ، فكما يوضح بـ يـ تر كـارل : « إن مختلف البنايات التي زرتها إبان عطلتي في اليابان لا تعطي للقارئ فكرة كبيرة عن فنهم المعماري " إن هذا الفن بقي لديهم مند الطفولة "، فليست بناياتهم موازية لما هي عليه في أوربا سواء من حيث داخلها أو حاجياتها أو أشكال تلاحمها ، فأغلبيتها منجزة من الخشب »[1] ، من هنا يمكن

القول بأن المعرفة الـتقنية لمميزات المواد الطبيعية فيما يخص فـيزيائيتها و أساليب استعمالها هي سبب مـباشر لاختيارها في بـناء المساكن و لـيس بالضرورة ما يـوفره الـمحيط ، حيث كل من قرية "**قورنة** " في مصر و" **قصور قنادسة**" في الصحراء الجزائرية و "**الـساحل**" ، أمثلة تبرز دور الثقـافة العالمة عـند الأفراد في الاستفادة من مادتي الطوب و الحجارة .

تتشابه أسقف المساكن الشعبية في وادي برقش المبنية من الحجارة و من الطوب من حيث شكل و مواد و أساليب إنشائها. يضم السقف مجموعة من الغرف المتلاصقة وهو مرتفع في الوسط و جانبيه المائلين بنفس الدرجة و متساويين في المسافة ، و يتكون من طبقتين : السفلى و هي هيكل السقف منشئة من أغصان الأشجار و الخشب المصنّع ، أما العليا فهي غطاؤه الواقي من الأمطار و الرياح و أشعة الشمس

الناتج من فرش عجينة من ممزوج الطوب ألمدك مع نسبة معينة من التبن المقطع بسمك يتراوح من 12 سم إلى 15سم .

1-voir notes P .donnadieu et J.M.Didillion , op cit , p190 .

دفع تخوف الأفراد من الكوارث التي تحدثها قوى الرياح و سيلان الأمطار إلى جعل الأسقف أكثر ثقلا و ارتكازا فوق الجدران ،حيث يمكن حصر الجانب الفيزيائي للسقف في خاصيتين أساسيتين: الأولى هي ديناميكية تخص شكله أما الثانية فهي من حيث طريقة إنجازه و كيفية اتزانه .

1 – الخاصية الديناميكية :

يتحمل الجدار الأمامي للمسكن محصلة قوى الرياح المؤثرة عليه عموديا بحيث أنها لا تحدث أي خلل في السقف إنما يبقى التخوف من التي تصيبه بصورة مباشرة في احد جانبيه محدثة إشكالات فيزيائية تلحق الضرر بهيكلته .

تغرس جميع أطراف أخشاب هيكل السقف في حواف الجدران كجسم واحد متماسك و من ثم يتم تغطيته بالكامل بطبقة من الطوب ، فحين تؤثر قوى الرياح على احد الجانبين فأنها تتضاءل نتيجة تواجد الجانب الآخر الغير المتأثر كقوة معاكسة تعمل على عدم تحريك السقف و بالتالي يضل متزنا .

2– خاصية التوازن :

يكتسب السقف توازنه من خلال ارتكاز عناصره الإنشائية على الجدران باعتبارها أيضا هيكلية تتحمل جميع القوى المؤثرة و منها ثقل طبقة الطوب التي تغطيه و يتم انجازه على مرحلتين:

ا) **المرحلة الأولى** : وتمثل إنشاء هيكل خشبي عموما من جذوع الأشجار بأقطار تتراوح ما بين 15 سم إلى 20سم و التي توضع متوازية ومتباعدة فيما بينها بـ 70 سم ابتداء من الجدارين الجانبيين حتى وسط الغرفة وقد فضل بعض الأفراد شراء الأخشاب نظرا لاستقامتها و صلابتها ، ثم تغطى الغرفة كلية بأغصان متماسكة و متقاربة بشكل عمودي للجذوع تتراوح أقطارها ما بين 06 سم إلى 08سم وظيفتها تقوية الأخشاب الأساسية .

ب) **المرحلة الثانية** : وهي تغطية السقف بطبقة أولية سمكها حوالي 8 سم من مزوج الطوب مع التبن المفصص لسد كل الفراغات المتواجدة فيما بين الأغصان و بحيث تغطي هذه الأخيرة مساحات الغرف و الحواف الخارجية للجدران . فبعد أن تجف هده الطبقة بفعل أشعة الشمس تضاف فوقها طبقة ثانية يتراوح سمكها ما بين 02 سم إلى 04 سم من مزوج الطوب ألمدك جيدا مع الرمل المشبع بالماء لتسوية ظاهر السقف كونها تكتسب صلابة و متانة بفعل ما تنتجه حبيبات الرمل مع الطوب من جزيئات صغيرة و متماسكة تصبح بمثابة غطاء عازلا لمياه الأمطار و مقاوما للرياح و أشعة الشمس الحارة .

تحدث على مدى السنين تشققات و تصدعات في الطبقة العازلة بفعل التمدد و الانكماش ما يدفع الأفراد لانتزاعها ككل و استبدالها بأخرى و صيانة السقف كلما اقتضت الضرورة ذلك .

د – تلبيس الجدران :

تعتبر عملية تلبيس الجدران مرحلة نهائية تستدعي ظروفا مناخية مناسبة و أهمها أشعة الشمس التي تسرع في تجفيف مادة الطوب ،و يختلف تلبيس الجدران المبنية من الحجارة عن التي هي من الطوب من حيث سمك طبقاته و مكوناتها .

1- تلبيس الجدران الحجرية :

تغطى كل الجدران المعرضة لأشعة الشمس و لرطوبة الجو بطبقتين من الطوب : الأولى لتسوية سطح الجدار أفقيا و عموديا وهي من ممزوج من الطوب مع كميات كبيرة من التبن المفصص والأشواك لجعل المادة أكثر تماسكا و تنجز بسمك

يتراوح ما بين 3 سم إلى 4 سم ، أما الثانية فيتراوح سمكها من 1 سم إلى 2 سم و هي مكونة من ممزوج الطوب ألمدك مع رمل الوادي لتقاوم مختلف المؤثرات الجوية بفعل جزيئاتها الدقيقة التي تكسب غطاء الجدار صلابة و متانة و سطحا أملسا .

2- تلبيس الجدران الطوبية :

تغطى كل الجدران الداخلية للغرف و الخارجية المعرضة لأشعة الشمس و لرطوبة الجو بطبقة واحدة صلبة و عازلة تماثل الطبقة الثانية في الجدران المبنية من الحجارة من حيث مكوناتها و سمكها .

إن في إضافة التبن والأشواك و الرمل إلى الطوب الحصول على تلاحم جيد بين جزيئات المواد المختلفة ليكتسب كل ممزوج مميزات جديدة تمكنه حسب وظيفته من تحمل مختلف القوى المؤثرة و من توفير أفضل حماية للجدار ضد الرطوبة و تسرب مياه الأمطار و التصدعات التي تحدثها العوامل المناخية .

من جهة أخرى تتعرض قشرة الطوب إلى تشققات و تصدعات تجبر الأفراد على صيانتها في حدود مكان الضرر و ذلك بإزالة طبقة الطوب الأولى و تغطيتها من جديد بممزوج مماثل .

هـ- أرضية الغرف و الساحة :

بعد تلبيس الجدران تسوى أرضية كل غرفة و تكون البداية بعتبة الباب التي تنجز من الحجارة بارتفاع 20 سم عن مستوى الساحة و تنخفض أرضية الغرفة عنه بـ 10 سم . تغطى الأرضية بطبقة أولى من ممزوج الطوب مع التبن و الأشواك بسمك يتراوح من 8 إلى 10 سم ، و بعد أن تجف و يتبخر ماؤها تماما بفعل الحرارة تفرش

بطبقة ثانية لا يتعدى سمكها 3سم من ممزوج الطين مع الطوب ألمدك بنسب متساوية وظيفتها سد الثقوب و تسوية سطح أرضية الغرفة التي لا تكتسب الرطوبة المضرة لصحة الإنسان بفعل تواجد كمادة عازلة لا تسمح بنفاد الماء .

تمنع العتبات تسرب مياه الأمطار إلى الغرف وعلى أساس مستوياتها تغطى أرضية الساحة بطبقة مماثلة لطبقة لأرضية تحديد مسار بميل يسمح بجريان المياه ابتداء من عمق الساحة إلى منفذ يتواجد بجانب باب المدخل و منه إلى الدرب.

الخاتمة

توصلنا من خلال هذه الدراسة بشقيها النظري و التطبيقي إلى جملة من النتائج نوجزها فيما يلي :

1 – إن تجمع السكن الشعبي الذي تضمن الشارع والدروب والحارات السكنية والمساكن هو نتاج ثقافة مادية تخص الجماعة التي أنجزته و اعتبرته لائقا لها ومعبرا عن رضاها و موفرا لاستقرارها و أمنها .

2– إن الإنسان بطبعه الاجتماعي يسعى جاهدا لتوفير مسكنا له ولعائلته و يبقى مرتبطا بالمكان الذي يعبر فيه عن الطقوس العائلية والعرقية والدينية... ، محولا هذا المسكن إلى إنجاز مادي ذو وظيفة طبيعية هو بمثابة المرآة التي تعكس و تبين في نفس الوقت بعده و وسطه من خلال علاقته بعائلته و مختلف أدواره بصورة مستمرة مع محيطه بإطاره التاريخي والجمالي والوظيفي.

3–إن قول جون بيار كابرول « الرجال يصنعون المساكن والمساكن تصنع الرجال» ينطبق بصورة عامة على الأفراد الذين أوجدوا المساكن الشعبية والدروب والحارات السكنية في وادي برقش سنة 1939م و ليسوا كلهم اليوم أحياء ليشهدوا على ما جسدوا ، إنما تظل المساكن شاهدا على تواجدهم و على مواهبهم الثقافية .

4–إن انجاز المسكن الشعبي يقوم على أساس عنصرين متكاملين أولهما الفن المعماري وثانيهما تقنيات البناء واستعمال المواد الطبيعية.

5- إن فكرة استحداث نمط للوحدة السكنية هي بالفعل عملية تنظيمية للفضاء حسب التطبيقات المعيشية والتصورات الفكرية ، يبرز المسكن من خلالها كدلالة على الظاهر و المحسوس .

6-فالدراسة الفنية المعمارية ما هي إلا الوسيلة التي يتم من خلالها تقسيم وتنظيم الفضاء بالشكل الذي ينسجم مع ثقافة مستعمليه وتطبيقاتهم الحياتية.

7- قد لا يعتبر الفن المعماري نجاحا إبداعيا إلا إذا كان مهيأ بصورة خاصة لمجتمع معين في المكان والزمان ، و يكون أحيانا مقبولا في مجتمع آخر ثقافته تتشابه مع الأول بصورة عامة ، فالإبداعات العديدة المختلفة فنا وشكلا و مضمونا قد انبثقت من خلالها تعريفات مجتمعية تمثلت في ظهور المسكن الأوروبي والياباني والتركي والعربي....الخ ، و أصبحت مضامينها مرجعية للبحوث الأكاديمية في مختلف كليات الفنون المعمارية في العالم .

شهد القرن الماضي في معظم دول العالم قفزات تطورية و نوعية لإسكان مختلف الشرائح الاجتماعية المتواجدة نتيجة الهجرة الداخلية ونزوح سكان الأرياف نحو المدن الكبرى و كذلك هجرة الأفراد من دول العالم الثالث إلى الدول الأوروبية ، حيث شهدت مدن كثيرة في العالم ظهور لتجمعات في محيطها سميت حسب اللغات(-الأحياء القصديرية- les bidonvilles – les ghettos) نسجتها الجماعات بمختلف المواد الإنشائية المتواجدة في الطبيعة والسهلة الاقتناء ، و كان أثرها كبيرا في عواصم العالم الثالث التي أصبحت مزدحمة ومكتظة بالسكان حيث

بلغت كثافتها السكانية نسبة عالية و على سبيل المثال –القاهرة في (مصر) وكالكيتا في (الهند) وأبيدجان في (كوت ديفوار) .

اهتمت الجزائر بموضوع الإسكان بالتموين و المراقبة التقنية والمتابعة الميدانية لمختلف المشاريع (السكن الاجتماعي والسكن التطوري وبرامج القضاء على السكن القصديري) و حددت النصوص والقوانين أنماطا اقتصادية لجعل المساكن وظيفية ومتشابهة بالدرجة الأولى، فقيدت بالتالي المهندسين المعماريين على إيجاد وحدة سكنية مناسبة وبأقل كلفة ممكنة تمثلت في وحدات سكنية ذات غرفتين (F2) و أخرى ذات ثلاثة غرف (F3). إذ تميزت التجمعات السكنية في المدن بعماراتها المختلفة شكلا و حجما أما في القرى فكانت هناك سكنات أرضية بساحات خلفية ، و بعد أن سكنتها العائلات و مع مرور الوقت بدأت علامات ومفاهيم عدم الرضا في الظهور نتيجة عدم توافق الوحدة السكنية مع التطبيقات المعيشية والحياتية لهؤلاء السكان، و كان أهم عنصر هو ضيق المسكن بالنسبة للعائلة و نحن نعرف أن متوسط عدد أفراد الأسرة الجزائرية هو سبعة أشخاص .

هذه النتيجة تبين عدم إدراج المعايير ذات الصلة المباشرة بالعلوم الإنسانية المختلفة في الدراسات التي أعدت لمثل هذه الانجازات،حيث لم يكن في وسع المهندسين المعماريين الذين شاركوا في تحقيق هذه المشاريع إلا الاجتهاد ضمن نفس التعاليم والمقاييس المشروطة في تغيير أشكال العمارات و واجهاتها وإضافة الشرفات قصد إلغاء مفهوم التشابه والتطابق ، و ربما هم غير راضين عن إنجازاتهم .

ظهرت من جهة أخرى أنماطا مختلفة لوحدات سكنية في أحياء التجزئة الفردية و قد أبدع المهندسون المعماريون في العديد منها وفق مواهبهم ومهاراتهم و حسب رغبات ومتطلبات الأفراد بتوظيف بعض التفاصيل و الرموز والأشكال الدخيلة على

الثقافة المحلية دون انعكاس لعقيدة المجتمع التي تتضح من خلال الممارسات الدينية والطقوس المختلفة و سبل إقامة الأفراح و الاقراح على ضوء المعارف الشعبية .

إن الوحدة السكنية التي حددنا أجزائها في هذا البحث من المنظور الفني المعماري بقيت دون تقليد في خضم أنماط الإسكان السارية الانجاز وكأنها نوعا تقليديا غير لائق للحياة المعاصرة . فمثل هذا المسكن الشعبي الذي يرتكز نمطه على الساحة بوصفها فضاء يتوافق مع عادات و تقاليد الأسرة الجزائرية قد تم تجاوزه في التصاميم الحالية ، بينما نجد أن حبرا كثيرا قد سال حول هذه الوحدة السكنية و أمر قد أثار الكثير من الجدل و النقاش لدى الفئات الاجتماعية كثيرة ، لكن لم يفض هذا النقاش إلى التفكير لإرساء قواعد ثابتة لإدماج هذا النوع من السكن الذي يستوحي تطبيقاته من الفن المعماري العربي الإسلامي الأصيل كتخصص في المدارس المعمارية .

الملاحق

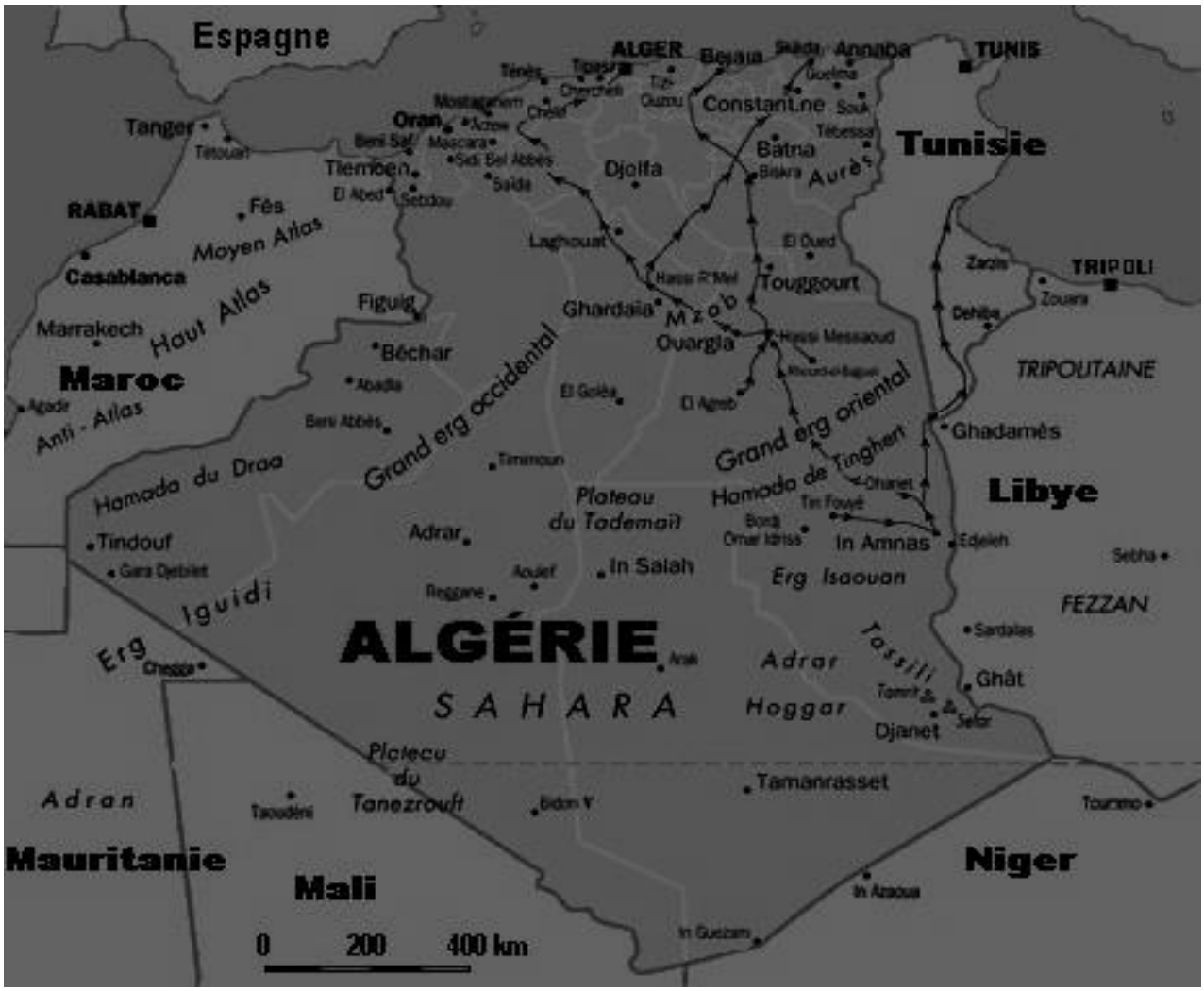

الخريطة السياسية للجزائر –سنة 1958

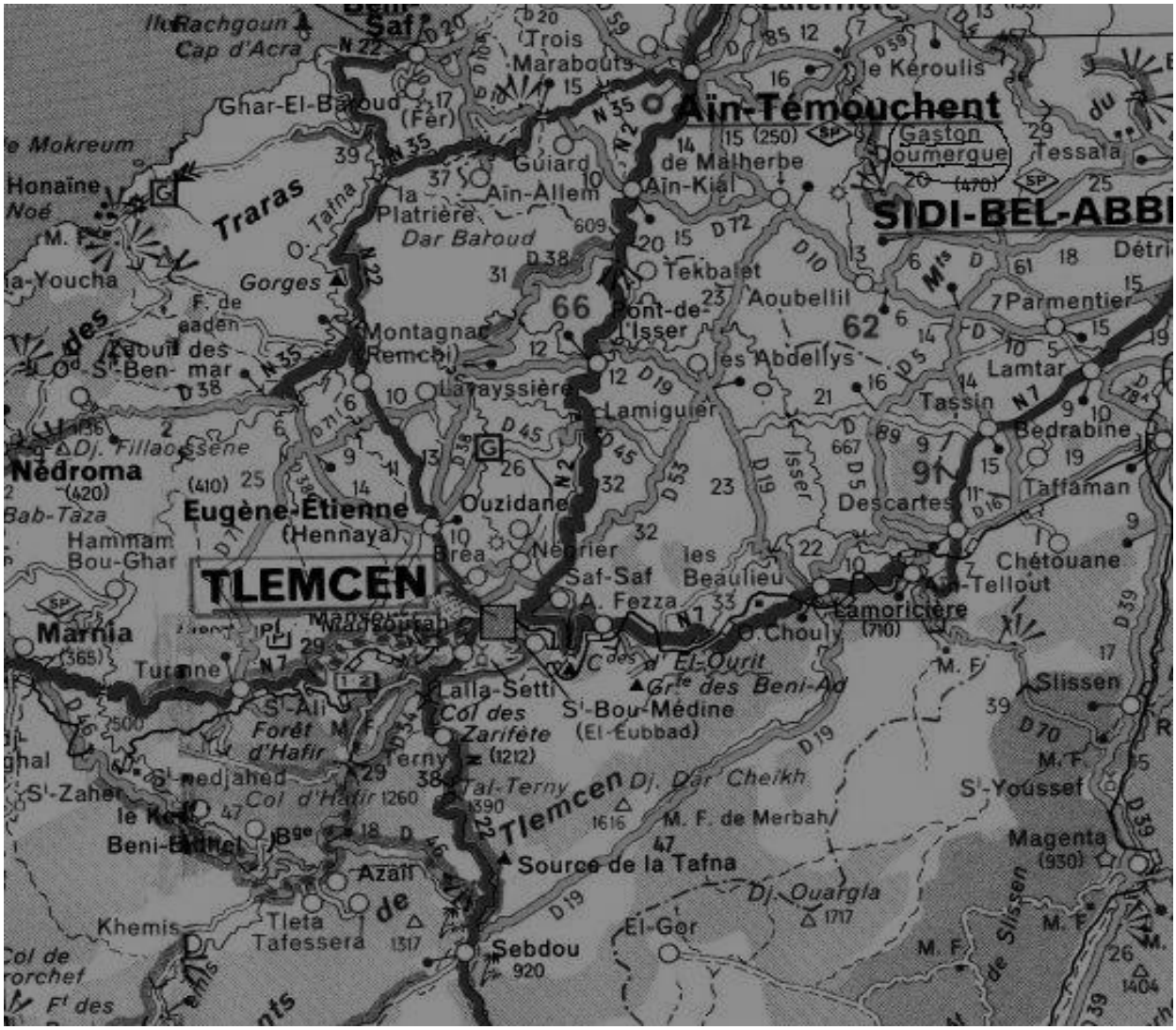

الخريطة السياسية لمنطقتي سيدي بلعباس و عين تموشنت سنة 1958 التي تظهر فيها بلدية قاستون دومرقgaston doumergue –حاليا وادي برقش–

صورة تظهر على اليمين مبنى البريد وعلى اليسار المدرسة الابتدائية في التجمع السكني الفرنسي

صورة تظهر الكنيسة و بجانبها مبنى البريد في التجمع السكني الفرنسي

نموذج لمسكن فردي في التجمع السكني الفرنسي

نموذج لمسكن فردي و للشوارع المتعامدة في التجمع السكني الفرنسي .

صورة تظهر تلاصق المساكن الفردية و استقامة الشارع في التجمع السكني الفرنسي .

صورة لخزان الماء بسعة 200 متر مكعب يتواجد بداخل التجمع السكني الفرنسي

صورة لبرج الحراسة المتواجد في شمال التجمع السكني الفرنسي

صورة للتجمع
السكني لشعبي

صورة للتجمع السكني
الشعبي

صورة للشارع الرئيس في التجمع
السكني الشعبي

صورة تظهر دربا في عمق الحارة السكنية وكيفية
تلاصق المساكن الحجرية .

صورة تظهر بعض المساكن المبنية من الطوب في
التجمع السكني الشعبي

.

.

صورة لممر في عمق الحارات السكنية.

صورة لباب غرفة .

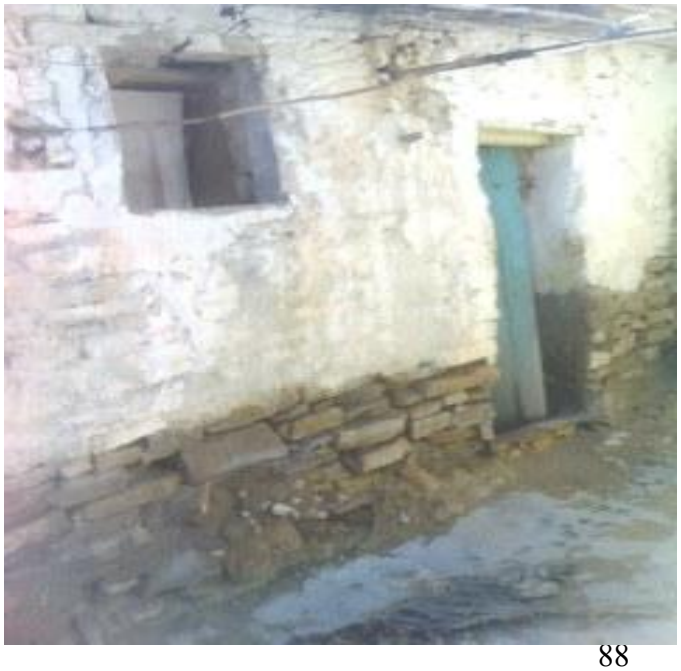

صورة تظهر الباب و النافذة في جدار غرفة .

صورة لباب خشبي في جدار إحدى الغرف .

صورة تظهر جدار أمامي لمسكن و باب المدخل.

صورة تظهر باب مدخل في جدار أمامي لمسكن من الحجارة .

صورة لجدار غرفة مبني من الطوب .

صورة تظهر سقفا مغطى بالطوب و شكله المتميز بالارتفاع في الوسط و ميل جانبيه .

صورة لجدار أمامي في مسكن من الطوب.

صورة تظهر تلاصق ساكن من الطوب على جانبي ممر .

.

صورة تظهر جدران من الطوب و شكل الأسقف.

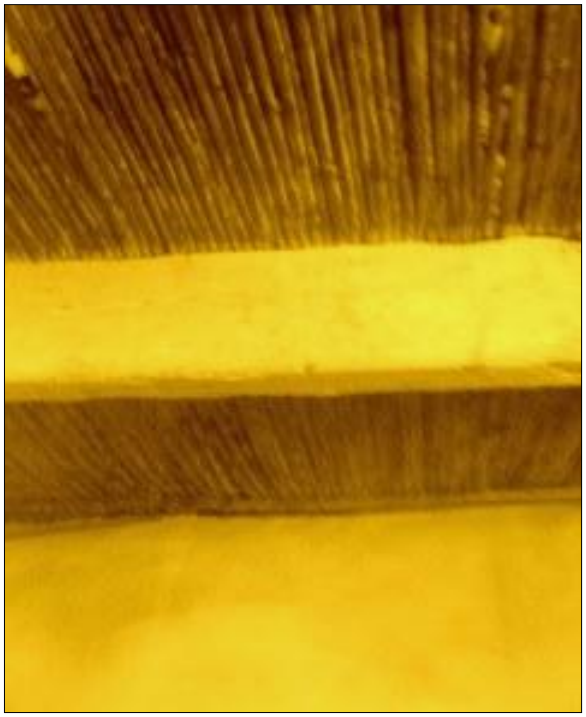

صورة تظهر هيكل سقف .

صورة تظهر هيكل سقف .

صورة لأرضية الساحة .

صورة لساحة و سقف مغطى بالطوب .

المصادر باللغة العربية

1-القرآن الكريم

2-ابن منظور "لسان العرب" ط2 دار صادر.بيروت. 1994

المراجع باللغة العربية

1-جمال حمدان "جغرافية المدن" ط2 منقحة ،دار غريب للطباعة،القاهرة ،1988.

2-دولة احمد طارق و علي البنا ، "أسس الجغرافيا العامة"، ط2، مكتبة الإنجلو المصرية،القاهرة، 1968.

3-عفيف بهنسي ،" لمحات أثرية وفنية " ،دار الرشد للنشر ،بغداد ، 1983 .

4-محمد حسن الغامري ، "طريقة الدراسة الانثروبولجية الميدانية" ، المكتب الجامعي الحديث ،الإسكندرية، 1989 .

5-محمد عبد الستار عثمان ،" المدينة الإسلامية" ، المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب-الكويت 1977

المراجع باللغة ألاتينية

1-HASSEN fathy « construire avec le peuple » Edition 1
Traduit de l'Anglais par Yana Karnel laminaire de pierre Bernard bibliothèque Arabe Sind-bad 1977.

2-Lecorbusier « vers une architecture » Edition 1.
Edition Arthaud Paris 1979.

3-VIOLET le Duc « histoire de l'habitation humaine »
Edition Pierre MARGADA PARIS 1986.

4-AMOS Rapoport « pour une anthropologie de la maison »
Collection ---Aspect du L'urbanisme---DUNOD-Paris1972

5-BRAHIM Benyoucef « M'Zab :les pratiques de l'espace »
Entreprise Nationale de livre Alger1986

6 -COLETTE Petonnet « espace, distance et Dimension dans une société musulmane » L'homme Vol XII cahier II Paris 1972.

4-DJAFFER Lesbet «les 1000 villages socialistes en ALGERIE »
O.P.U Syros ALGER 1984.

7-EKAMBI Schmidt.Jesabelle « la perception de l'habitat »
Edition universitaire 1972.

8-FAROUK Ben- Atia « Alger ; agrégats ou cités » édition 1
SNED Reghaia 1980.

9-MOSTEFA boutefnouchet «systéme social et changement social en Algérie »
O.P.U ALGER 1984.

10-MOUSSAOUI abdelrahmane «logique du sacré et mode d'urbanisation de l'espace dans le sud ouest algérien » thèse de doctorat E-H-E-S-S Paris. 1996

11-N. H haumond et H.raymond «habitat et pratiques de l'espace ; études des relations entre intérieur et extérieur du logement» Institut de sociologie urbaine ministère de l'équipement et du logement Paris 1973.

12-PAUL pandolfi «l'habitat du Hoggar entre tentes et maisons ;la hutte » Publié sous l'égide du centre d'études sur l'histoire du Sahara Karthala Paris1994

13-P.donnadieu et J.M didillion «habiter le désert ; les maisons mozabites » Architéctures et rechérches 3éme édition Pierre Margada Paris 1986.

14-P.H antoine et A.dubresson «Abidjan ; coté cour » Édition Karthala ORSTOM Paris. 1987

15-SAFI moussa-boudjemaa « Ain-témouchent au fil du temps » imprimé en sur les presses de l'entreprise des travaux d'impression. Sidi bel abbes. **1997**

المجلات و الدوريات باللغة ألاتينية

*-CELINE sachs- jeantel «Humaniser la ville »
La ville et l'urbanisation -Revue mensuelle- 03/1977
Edition Marinor Paris.

*-MARC cote « choix d' espace, choix de société »
La ville et l'urbanisation -Revue mensuelle- REPERES 03/1977
Edition Marinor Paris.

*-MARC cote « une poussée d'urbanisation sans précédant »
La ville et l'urbanisation - Revue mensuelle- REPERES 03/1977
Edition Marinor Paris.

*-XAVIER thyssen «des manières d'habiter dans le sahel tunisien »
Édition du CNRS les cahiers du CRESM N°15 Marseille 1986.

الفهرس

المقدمة ---------- أ
الفصل الأول : تاريخية ظهور السكن في وادي برقش ---------- 11
1 – دراسة تاريخية وجغرافية لوادي برقش ---------- 12
ا – اختيار موقع وادي برقش ---------- 12
ب– إنشاء قرية وادي برقش ---------- 15
2 – ظهور السكن في وادي برقش ---------- 18
ا – السكن الأوروبي ---------- 20
ب – السكن الشعبي ---------- 22
ب1 – اختيار موقع ---------- 22
ب2 – الفضاء ---------- 25
ب3 – الكتلة السكنية ---------- 27
ب4 – الشارع و الدرب ---------- 30
الفصل الثاني : تنظيم و تفصيل المسكن ---------- 34
1 – مفهوم السكن ---------- 35
2 – الوحدة السكنية ---------- 40
ا – الساحة ---------- 45
ب – الغرفة ---------- 49
ج – المطبخ ---------- 50
د– الأبواب و النوافذ ---------- 52
الفصل الثالث : أساليب و مواد البناء ---------- 57
1 – الفن المعماري ---------- 58
ا – التنظيم ---------- 60
ب – لحظة القرار ---------- 60
ج– مراحل انجاز المسكن ---------- 61
ج 1 – المرحلة الأولى ---------- 61
ج 2 – المرحلة الثانية ---------- 62
2 – طرق و أساليب البناء ---------- 64
ا –أنواع و وظائف الجدران ---------- 64
ا1 – بناء الجدران من الحجارة ---------- 66
ا2 – بناء الجدران من الطوب ---------- 69
ب– المرحاض ---------- 72
ج– الأسقف ---------- 73
د– تلبيس الجدران ---------- 77
هـ– أرضية الغرف و الساحة ---------- 78
الخاتمة ---------- 79
الملاحق ---------- 83
المصادر و المراجع ---------- 97

ABSTRACT الملخص باللغة الانجليزية

This research is architectural study of popular homes in Oued berkeche inspired in form and essence from their culture which has created a spatial organization that depends of individual practices and methods.

The key words : home – security –space - architecture – art - traditions.

LE RESUME الملخص باللغة الفرنسية

Cette recherche est L' étude architecturale sur l' habitat populaire a Oued Berkeche qui s' inspire dans sa forme et son éssence de la culture des individus qui ont crées one organisation de l' espace selon leurs pratiques et mode de vie.

Les Mots clés : habitat--sécurité –l ' espace –l' architecture—l' art—tradition.

الملخص باللغة العربية

هذا البحث هو دراسة للسكن الشعبي بوادي برقش من منظور فني معماري نابع في شكله و جوهره من ثقافة الأفراد التي أنتجت تنظيما لفضاء المسكن حسب تطبيقاتهم الحياتية و المعيشية .

الكلمات المفتاحية :السكن—الأمن—الفضاء—المعمار—الفن—التقليد.